جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: التاريخ

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: بلاد عربية قديم

محاضرات مادة: بلاد عربية قديم

الفصل الأول

الخلفية الجغرافية للحضارة المصرية :-

لكي نفهم الحضارة المصرية وسير تاريخ نشوئها منذ القدم الى ادوارها التاريخية ,ينبغي لنا ان نلم الماماً بأهم الخصائص الجغرافية لبلاد وادي النيل التي اثيرت تأثيراً مباشراً في حوادث التأريخ المصري القديم , أن مصر تقع في الجانب الشمال شرقي من قارة افريقيا وهي عبارة عن وادي طويل يمتد بامتداد النيل مصدر الحياة والخصب , اذ نعرف ان هذا النهر ينشطر عند العاصمة منفس القديمة , القريبة من القاهرة اليوم الى عدة فروع تشكل الدلتا , ينصب ماؤها في مصبات عديدة في هذه المنطقة التي تحتوي على تربة من اخصب بقاع الأرض لأن ارضها رسوبية ويغمرها ماء الفيضان في كل سنة , وبالنظر لكون الدلتا تتكون في ازمانها القديمة من سبعة فروع , وكنتيجة لهذا الفوارق الطبيعية لوادي النيل, فقد انقسمت مصر تاريخيا وجغرافياً الى قسمين هما مصر العليا , وتتكون من الوادي الطويل الذي يحيط به النيل من الشرق والغرب والتي تتكون من جبال صحراوية وتلال , ثم مصر السفلى وهي الأرض المنبسطة التي تعرف بالدلتا .

أن هذا الانشطار الجغرافي في طبيعة وادي النيل نجده بارزاً في تاريخها القديم الذي يشكل في الحقيقة تاريخاً ثنائياً نتيجة هذا الانقسام الجغرافي وعندما زارها المؤرخ اليوناني هيرودوتس في اواسط القرن الخامس

الميلادي قال ان مصر (هبة النيل) , ففي اواسط الصيف من كل سنة يفيض النيل , فيطغى ماؤه على الارض المحيطة به لمدة شهرين , وتترسب خلالهما كل ما يحمله معه من الطين الذين هو مادة الخصوبة , والذي يحمله من اواسط افريقيا , الأمر الذي جعل الانسان في هذه البلاد يستفيد من هذه البركة منذ القدم , نظراً لكون مصر بلاد عديمة المطر بوجه عام , فيكون النيل وما على جانبيه من الاراضي الضيقة اساساً للحياة والعيش اذ نرى ان الاستيطان الرئيس في هذه الشقة الخضراء

لقد ادى وضع مصر الجغرافي الذي جعلها بمعزل عن العالم الخارجي تقريباً بسبب الصحاري والهضاب القاحلة المحيطة بوادي النيل , الى ان يكون في مصر فن وثقافة مستقلة تقريباً وذات طابع مصري بحت ولأن وادي النيل في وضعه وطبيعته الجغرافية يشكل واحة وسط الصحراء , ولكن مع ذلك فأن هذا لا يعني ان مصر كانت منعزلة انعزالاً كلياً عن العالم الخارجي , فقد غزت وادي النيل في فترات متفاوتة من الزمن هجرات لشعوب كثيرة , دفعت من الشرق والغرب بدافع الحالة الاقتصادية , شاقة طريقها خلال الصحراء , ونزلت على ضفافه , وذلك فأن المصريين انفسهم كثيراً ما خرجوا من واديهم محاربين وغزاة وركبوا البحر الى سواحل سوريا والى جزيرة كريت عن طريق التجارة اذ وجدت في جميع هذه الأماكن آثار مصرية كثير , لذا كان المصريون القدماء خاضعين الى جميع التقلبات السياسية , والاقتصادية والثقافية التي تحدث في اقطار الشرق الأدنى .

ان هذه المعلومات التي نقدمها هي في الواقع حقائق تاريخية , تبدأ في مصر بابتداء السلالة الملكية الاولى اي حوالي سنة (2850 ق.م) , ولكن هناك عصور كثيرة سبقت هذا التاريخ مر فيها انسان وادي النيل في تطورات حضارية عديدة نسميها عصور ما قبل التاريخ , وهي على جانب كبير من الأهمية في تاريخ بلاد وادي النيل , لأنها هي التي كونت انسان وادي النيل وهيأته الى احتلال مكانته اللائقة في تاريخ بلاد الشرق القديم بصفة عامة , وتاريخ امتنا العربية بصفة خاصة .

لذلك فمن الافضل قبل الدخول الى تقسيمات الادوار المميزة لتاريخ وادي النيل , لا بد لنا ان نتعرف عن مصادر معرفتنا بالحضارة المصرية القديمة .

ان اسم بلاد مصر مأخوذ من اسمها اللاتيني المشتق بدوره من الاسم اليوناني الذي يرجح ان اصله من احد اسماء مدينة منفس القديمة اما اسم مصر فالمرجح كثيراً انه اسم عربي قديم ويعني ما تعنيه الكلمة العربية (مصر),وقد ورد هذا الاسم بصيغة مصر وبصيغة مصري في الوثائق

الاشورية , وفي رسائل تل العمارنة الشهيرة وان الفضل الاكبر في معرفتنا بحضارة هذا القطر العربي القديم التي ازدهرت في وادي النيل الى التنقيبات الاثرية التي قام بها علماء الاثار في امهات المدن المصرية منذ منتصف القرن الماضي , ولقد سبق طور التنقيبات طور تعرف فيه ابناء الغرب على اثار مصر من السواح وهواة الآثار وسراقها , انتقلت عنهم الى الغرب مجموعات مهمة من الآثار المصرية القديمة , ويمتد هذا العهد الى ازمان طويلة , ولا سيما في العهود اليونانية والرومانية , اذ ان اباطرة الرومان قد نقلوا كثيراً من المسلات الفرعونية الى روما وغيرها من المدن الايطالية.

ان عملية التنقيبات وما صاحبها من بحوث علمية وجهود مبذلة في حل رموز الخط الفرعوني (الهيروغليفية) ادت بالنتيجة الى كشف الكثير من الجوانب الغامضة عن الحضارة المصرية القديمة , ونشأة في مصر طرق التنقيب والبحث عن مواطن الحضارة , مما شجع العلماء وساعدهم على دراسة الآثار هو كون طبيعة الآثار المصرية نفسها كانت سالمة محفوظة والكثير منها بقي شاخصاً كالمسلات والأهرام ومعابد القبور الكبيرة , كما ان لمناخ وادي النيل دور كبير في الحفاض على الآثار المطورة , مما جعل عمل المنقبين والآثاريين مضموناً في العثور على الآثار القديمة .

بالإضافة الى دور المنقبين الاثريين في الكشف على الحضارة المصرية القديمة وضبط ادوارها كان دور الوثائق المدونة التي تركها لنا المصريون القدماء , ساعدت على ضبط ادوار التاريخ في حضارة مصر القديمة , وابرز هذه الوثائق التاريخية المدونة اثباتات الملوك المصريين التي جمعها

الكاهن المصري الشهير (منيثو) الذي الفها باللغة اليونانية في عهد (البطالسة) في مصر في القرن الثالث للميلاد في عهد بطليموس فيلادلفوس , اذ زودنا هذا الكاتب الكاهن في كثير من المعلومات ذات الفائدة الكبيرة في تاريخ الدولة المصرية القديمة ,

وعلى هذا فقد ارتأى المعنيون بدراسة التاريخ المصري الى تقسيم هذا التاريخ القديم الى ثلاثة عصور كبرى , تتميز بأكثر من وجه واحد من النواحي السياسية والفنية والاجتماعية , الى ان المتفق عليه هو ثلاث عصور كبرى رئيسية مع فترات اضطراب سياسي , تفصل ما بين بعضها , اضافة الى عصور ما قبل التاريخ وهي :-

1- عصور المملكة القديمة
2- عصور المملكة الوسطى
3- عصور المملكة الحديثة (العهد الإمبراطوري)

عصور ما قبل التاريخ

وتشمل عصور ما قبل التاريخ:

1- العصور الحجرية القديمة:

تبدأ هذه العصور في مصر منذ بداية حياة الانسان في هذه المنطقة , اذ بدأ الانسان المصري القديم الاول يستوطن في وادي النيل , ولا سيما بعد تكوين نهر النيل في العصور الجيولوجية البعيدة حين كانت الاحوال المناخية تختلف اختلافاً كلياً عن الوقت الحاضر . اذ بدأ سكان الهضاب والمناطق الصحراوية يهجرونها , بعد ان جفت الغابات وقلت الامطار وهروب الحيوان , واخذت تتحول الى صحراء لا تصلح للحياة , والشي المهم هو سكان العصر الحجري القديم , اذ كانوا خليطاً من اجناس مختلفة بينها الزنجي وغير الزنجي والعربي الآتي من صحراء سيناء , ومن صحراء العرب , اذ اختلطوا فيما بينهم . لقد اصبح المصري في هذا العصر صياداً متجولاً في المنطقة , خلف لنا كثيراً من آلاته وادواته , كالفؤوس اليدوية , وبعض الادوات من العظام , ومن المناطق المهمة الممثلة لهذا العصر , هي وادي ومنطقة العباسية والسبيل.

2- العصر الحجري الحديث:

يتميز هذا العصر , اي العصر الحجري الحديث , في بلاد وادي النيل بتقدم ملحوظ في صناعة الفخار, واتقان صقل ادوات الحجر , وبداية زراعة الأرض وتربية الماشية . عُد هذا العصر انقلاباً في حياة الأنسان . ويمثل هذا العصر بداية حياة مستقرة , اذ التجأت جماعات من العصر

الحجري القديم الى ضفاف النيل ذات المياه الدائمة والى الواحات القريبة , وانتقل الانسان من طور يمثل جمع القوت الى طور دعوناه اسم انتاج القوت . لقد كانت الحياة في ذلك العصر تمثل حياة مزدهرة , الا اننا لا نستطيع ان نعرف شيئاً عن الاحداث السياسية والتاريخية التي مرت بالبلاد , اذ تكاد معلوماتنا تكون معدومة وان استطعنا ان نتلمس جوانب تشير الى فنونهم وصناعتهم وحضارتهم .

لقد كان كفاح هذا الشعب وصراعه في سبيل الحياة اثره في مثابرتهم على العمل الشاق في مجموعات متحدة متعاونة , كان له ابعد الاثر في توحيد البلاد .

- اولاً- دير طاسة.
- ثانياً- الفيوم.
- ثالثاً - البداري .
- رابعاً - مرمدة .
- خامساً - العمرة .
- سادساً - جرزة .
- سابعاً - حلوان .

3- العصر الحجري المعدني :

يمثل هذا العصر فترة تمهيدية لظهور الحضارة الناضجة في بلاد وادي النيل , اذ بدأ في عهد الاستقرار النهائي , واتساع الزراعة , والقرى الفلاحية, ومعرفة التعدين وصنع الادوات المعدنية ولا سيما النحاس المعدن الاول المستعمل في تاريخ البشرية . لقد كان هذا العهد يمثل طلائع اولى لوحدات النظم السياسية المتمثلة بدولة المدينة التي اتحدت في فجر الحضارة وكونت المملكة المصرية .

لقد انشغل سكان هذا العصر ولا سيما في منطقة البداري , اذ قام هؤلاء الفلاحون بتجفيف المستنقعات ليكسبوا ارضاً زراعية يسهل ريها, بدل الاعتماد على الأمطار, وقد كان مجتمع هذا العصر مجتمعاً فلاحياً , دلت المكتشفة الإثارية ان هذا المجتمع يشتمل في بنائه طائفة من الأكواخ

البيضوية او المستديرة المبنية من مواد خفيفة , وكذلك بتطور صناعة الفخار الذي يعد ارقى من فخار العهود السابقة من حيث الصناعة والشكل, وكذلك عرفت في هذا العهد النسيج بدلالة وجود قطع من الكتان , ومارس سكان هذا العصر التجارة اذ لم يقتصروا في صناعتهم على المواد المحلية, بل كانوا يستوردون كثير من المصنوعات من جهات أخرى.

أما مدافن سكان هذا العصر فكانت بيوتهم على طرز بيضوي او مستديرة , وكان الميت يوضع داخل حصيرة او جلد ويوسد بتراب متجهاً في قبره نحو القرية وفي يده ادواته ومتاعه , ومما لا شك فيه ان سكان هذا العصر مارسوا طقوس دينية, وكانت لهم عقائد خاصة بهم, الدليل وجود التمائم ودفن بعض الحيوانات , كالثور , والكلب, والشاة, والماعز, وبنات آوى, ويظن انهم اعتقدوا في الحياة بعد الموت بدليل وضع القرابين الى جانب الميت , مما يمكن ان يقيم شاهدا على فكرة تردد الروح على القبر. ومن المواقع الممثلة لهذا العصر هي: -

أولاً_ البداري .

ثانياً _ الاماري .

ثالثاً _ نقادة الاولى .

رابعاً _ نقادة الثانية .

خامساً _ الجرزي .

الفصل الثاني

العصور المبكرة : العصور التاريخية

مقدمة في تعريف المصادر :

إن معلوماتنا عن هذه العصور تعتمد اعتماداً كلياً على الاثار التي خلفها المصريون القدماء في مختلف عصورهم , وهي تحدثنا عن الكثير من أخبارهم , وتروى لنا معلومات لها قيمتها الحضارية , ونلاحظ ان هذه المعلومات مستقاة بالدرجة الاولى من المقابر والمعابد . اي انها ذات طابع ديني , وكذلك من بين المصادر المهمة لهذا العصور التاريخية هي مصادر ذات قيمة مباشرة في دراسة التاريخ المصري القديم, ومن بينها لوحات من العاج والاحجار التي عثر عليها في مقابر الملوك, وكذلك ساعدتنا الوثائق الحكومية المكتوبة التي خلفها لنا المؤرخين المصريين القدماء , والتي تحوي على اثبات سلالات ملوك جمعها الكاهن المصري (منثيو), مع العلم ان الكاتب المصري الكاهن (منثيو) عاش وأرخ في حدود (280ق.م), عاش في زمن بطليموس الثاني , وقد جاء كتابة بمثابة رد المزاعم التي قدمها هيرودوتس عندما زار مصر, أي بعد 170 سنة, من كتاب هيرودوتس ولذا فأن الكاهن المصري صبغ تاريخه بصبغة قومية وذكر في كتابه انه حكم في مصر 31 سلالة ملكية , ولا تزال هذه المعلومات صحيحة لدى العلماء المنشغلين بتاريخ مصر . ومع الاسف ان الكتاب الاصلي الذي دونه منثيو قد ضاع ولعل السبب في فقدان هذا الكتاب هو ان اليونانيين لم يرق لهم ما جاء فية من الشعور

القومي بصفتهم محتلين , ان اهم شيء وصل إلينا من هذا الكتاب هو اسماء الفراعنة التي كتبت باللغة اليونانية التي كانت لغة العصر الذي عاش فيه هذا الكاهن .

ومن المخطوطات المهمة التي زادت معلوماتنا عن تاريخ مصر هي مخطوطة البردي الموجودة الان في متحف تورينو في ايطاليا والتي ترجع في زمن تدوينها الى حدود (1300ق.م)وهي تتضمن بحالتها الكاملة اسماء 300 ملك مع اطوال حكمهم بالسنين والاشهر والايام . ويغلب على الظن انها ترجع الى عهد رعمسيس الثاني وقد كتبت بالهيراطيقية وهي المرجع الاعلى الاسماء الملوك والحوادث تم العثور عليها عام (1820م). ومن الالواح المهمة التي تتضمن اثباتات اخرى لأسماء الملوك وثيقة قديمة جداً دعيت باسم حجر (بالرمو) اذ يرجع اصلها الى حدود (2700ق.م), وهي قطعة الديورايت محفوظة في متحف بالرمو في صقيلية , وقد جمعت هذه اللوحة الحوليات الملكية الخاصة بفراعنة مصر .

وكذلك قائمة الكرنك من المصادر المهمة والتي ترجع الى عهد تحتومس الثالث معروضة الان في باريس تشمل اسماء الملوك الاسرات العاشرة والحادية عشر والثانية عشر. وكذلك المعلومات المأخوذة من قائمة ابيدوس وهي اللوحة المسماة بلوحة الاجداد وجدت على جدران معبد ابيدوس ومعروضة الان في لندن وتحوي (76) اسما, وكذلك قائمة صقارة وهي معروضة الان في المتحف المصري وترجع الى عهد رعمسيس الثاني , كل ذلك اضافة الى حوليات الملوك المختلفة ونقوشهم التاريخية في جدران المعابد والقبور , وكذلك المعلومات المستقاة من العلاقات الدبلوماسية بين ملوك الشرق الادنى وفراعنة مصر ولاسيما

في العهد الامبراطوري . طريقة التقويم المصري التي ساعدتنا على ضبط الادوار التاريخية .

الفصل الثالث

المملكة القديمة وعصر الاهرام

بداية عصر السلالات (2850_2052 ق.م)

وتشمل السلالة الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وليس من شك ان بلاد وادي النيل كانت مقسمة الى مقاطعات . وكان لكل واحدة منها حاكماً او رئيساً ثم الهها المحلي .

وليس من الشك كذلك ان هذه العصور الغابرة حفلت بأحداث مختلفة تتصل بعلاقات الدويلات بعضها البعض, مما كانت تزيد في نفوذ بعضها على حساب البعض الاخر عن طريق الحروب احياناً, والمصاهرة, والعلاقات السياسية احياناً اخرى.

او غير ذلك مما كان من الاسباب الجوهرية في توحيد كثير من المقاطعات حتى انتهى الامر بتوحيد اجزاء وادي النيل في حكومة موحدة واحدة. ان الاحوال السياسية لدول المدن المصرية القديمة قبل عملية التوحيد كانت تدور حول مراكز مدن بهيئة امارات ودويلات كثيرة منتشرة في كل من مصر العليا ومصر السفلى, وقد عرفت هذه الاجزاء السياسية في العصور التالية باسم الدويلات او الاقاليم او بالمصطلح اليوناني (نومي) أو (نوموس), هذا ولا يعلم عدد هذه الوحدات الاقليمية بالضبط قبل ان يوحد ملك مصر الاول (مينا) او (منا) القطر المصري في مملكة واحدة .

ولكن الظاهر ان عددها عندما وحد البلاد كان ما يقارب (42) منها (22) في مصر العليا و (20) في مصر السفلى , اي ان هناك (42) دولة مدينة وكان لكل ولاية من هذه الولايات كيانها الخاص من حيث الديانة والاله والرمز الديني والسياسة.

وكنتيجة للحروب بين هذه الدويلات تقلص عددها اذ اصبح قبل السلالة الاولى, اي قبل عملية التوحيد, مملكتين منفصلتين, مملكة الشمال ومملكة الجنوب, وبمعنى اوسع مصر العليا ومصر السفلى, وقد اطلق المصريون على ملوك هاتين المملكتين لقب اتباع الإله حور. وانه لم يلفت النظر ان تقاليد كل من المملكتين يشبه ما ساد من تقاليد في المملكة الاخرى الى حد كبير, وفي ذلك قرينة واضحة الى انهما خضعتا معاً يوم ما الى نظام موحد.

ومن بين المظاهر الواضح في كل من المملكتين, وجود عاصمة لكل منهما في اقصى مكان من الدولة, كما ان نهر النيل او احد فروعه كان يقسم العاصمتين الى قسمين, وانه كان يعبد في احد القسمين احد الإلهة التي تحمي المملكة, بينما يعبد حور في القسم الثاني. فعاصمة مملكة الجنوب (نخب) على الضفة الشرقية لنهر النيل, ورمزها السياسي (النملة), اما عاصمة الشمال اي مصر السفلى فهي (دب)والتي تعرف (ببوتو) شمال غرب الدلتا وشعارها (الحية).

ان هذه المظاهر المتعددة المتشابهة في الشمال والجنوب لا يمكن الا ان تكون صدى واثر لحكومة موحدة, وقد حفظت لنا قطعة حجر (بالرمو) اسماء بعض الملوك الذين يضعون فوق رؤوسهم تاج مملكة الشمال وتاج مملكة الجنوب, هذا الى جانب الآثار التي كشفت عنها الحفريات والتي تبين من خلالها الصراع من اجل التوحيد في بلاد وادي النيل, فالحروب كانت سجالاً بين المملكتين المنفصلتين حتى ظهور(منا) من مملكة الجنوب وعد مؤسس لاول سلالة حكمت في مصر شمالها وجنوبها.

السلالة الاولى ـ السلالة الثانية :

تكاد تجمع كل المصادر المختصة في دراسة التاريخ القديم لبلاد وادي النيل ان (مينا) أو (مينس) كما ذكره اليونان المؤسس الاول لأولى السلالات الملكية في وادي النيل, وقد كان هذا الملك من مصر العليا (مملكة الجنوب)استطاع ان يضم مصر السفلى (مملكة الشمال)إليه موحداً بلاد وادي النيل بالقوة العسكرية و وبذلك يعد المؤسس الاول لوحدة بلاد وادي النيل, ووضع على رأسه التاج المزدوج.

وجدت لهذا الملك آثار في مدينة (نخب)عاصمة مصر العليا وتصوره على المنحوتات يحمل رمز العقرب الذي كان يقدس في مصر العليا ضمن عبادة الاله (حورس), كذلك وجدت صورته على رأس صولجان تصوره وهو يحارب مصر السفلى.

لقد كان (مينا) من مدينة (ثينس) من احدى مقاطعات مصر العليا و وقد اشتهرت هذه المدينة بمعابدها وقبورها باسم (ابيدوس)اتخذ (مينا) مدينة (منفس) عاصمة لدولته الجديدة, وتسمى هذه المدينة بمدينة (مينس) ايضاً وتقع في جنوب القاهرة على الضفة الغربية لنهر النيل, وقد اصبح الاله (بتاح)الاله الرسمي للدولة المصرية القديمة.

إن اساليب الادارة التي اتبعها ملوك السلالة الاولى في ادارة المملكة تعتمد على الادارة المركزية والسلطة المطلقة, وقد زودتنا التنقيبات الاثرية في منطقة صقارة على عدد كبير من قبور الموظفين, الحجاب, والتابعين لبلاط الملك في عهد السلالتين الاولى والثانية, ومما يشير الى ان الفرعون كان

يتبعه ويساعده في حكومته المركزية عدد كبير من الموظفين المرتبطين بالبلاط من تعيين حكام إدارة الاقاليم والولايات مع المحافظة على اعطائها كياناً خاصاً.

وكان الحكام يعينون من قبل البلاط الفرعوني, ولكن وظيفتهم صارت وراثية خاصة بأسر معينة, وهكذا نشأت في مصر منذ فجر التاريخ طبقة خاصة من حكام الاقاليم اخذت تهدد سلطان الفرعون بعد ضعف المملكة القديمة حتى استقل هؤلاء في نهاية السلالة السادسة مستغلين نفوذهم المطلق وضعف سلطة الفرعون.

ومن الامور المهمة في الادارة العامة لهذه السلالة ان المعلومات قليلة بالنسبة الى العلاقات السياسية مع خارج الدولة المصرية , ماعدا إشارات الى الحروب مع البدو (سكان شبة جزيرة سيناء من الاقوام الجزرية), وذلك من اجل الحصول على مادتين مهمتين هما النحاس والفيروز, وكان طريق هجومهم على شبة جزيرة سيناء هو طريق وادي الحمامات الواقع على البحر الاحمر, ولدينا وثيقة تعزز هذا الدليل تعود الى الملك (سمرخيت) الملك قبل الاخير للمملكة القديمة تصوره يحمل فوق رأسه التاج المزدوج ويهوى بالصولجان على احد زعماء البدو من شبة جزيرة سيناء الذي صور راكعاً امامه, ومن الجدير بالذكر ان هذا التصوير الرمزي للانتصار اتخذه ملوك وادي النيل تقليداً رسمياً لهم.

كذلك كانت لملوك السلالة الاولى علاقات تجارية مع العرب الكنعانيين في بلاد الشام ولاسيما مع مدينة الحبيل, إذ كانوا يستوردون منهم خشب الارز للبناء, وكذلك كانوا يحصلون منهم على الخمور, والجلود, وكذلك كانت لهم صلات تجارية مع جزيرة كريت، واذ وجدت آثار لهذه السلالة في الجزيرة نفسها ويذكر المؤرخ المصري الكاهن (منثيو) ان (منا) كان له ابن خلفه

على العرش وهو (اثونيس) حكم مدة سبعة وخمسين عاماً. وتذكر الوثائق التاريخية واثباتات سلالات الملوك ان جملة ملوك خصصوا إلى السلالة الثانية, وحسب ما يذكره الكاهن المصري (منثيو) ان السلالة الثانية نشأت في طيبة وان الملوك الذين توالوا على العرش هذه الاسرة بلغوا التسعة عدداً , بينما الاثار تذكر اربعة ملوك فقط, ونحن لا نعلم عن الظروف السياسية التي اودت بالأسرة الاولى ودفعت إلى قيام اسرة جديدة عرفت بالتاريخ المصري بالأسرة الثانية او بالسلالة الثانية , ولدينا اثار لبعضهم وجدت في نقوش كتابية تذكر مأثرهم واعمالهم المهمة ولاسيما في التقدم الفني واكتسابه مسحة من الرقة, اضافة الى ازدهار فن التعدين فصنعت الصولجانات الملكية من الذهب , إضافة الى النقوش المهمة التي تزين المعابد والمحلات العامة , وكذلك الاهتمام الواضح بالمظهر العام , وهذا ما يلاحظ على التماثيل المختلفة لهذه الحقبة الزمنية, كما ان أهم حدث تاريخي تميزت به هذه السلالة هو ظهور الخط (الهيروغليفي), وهو الخط المقدس الذي اتخذ خطاً رسمياً في البلاد, وهذا يدل على ارفع ما توصلت الية العقلية البشرية آنذاك, كذلك حدث تطور مهم في عملية الطقوس الجنائزية ولا سيما عملية الدفن فان القبر مع بقائه بهيئة مصطبة إلا ان البناء الظاهري فوق حفرة الدفن صار غير مجوف مع توسيع حجرة الدفن تحت المصطبة اذ صارت تحوي على عدة حجرات مستطيلة الشكل ثم اصبح لها درج واضيفت إليها غرف جانبية تحيط بغرفة القبر, والتي كانت عملية تمهيدية لبناء الاهرام.

عصر الأهرام

2650_2190 ق.م

السلالة الثالثة :

هناك بعض الخلاف في اسماء ملوك هذه الأسرة بين القوائم المختلفة وجداول ثبت الملوك المعروفة, ولكن الآراء تكاد تكون متفقة ان هذه السلالة تبتدئ بحكم الملك(زوسر) وتنص الوثيقة التاريخية المعروفة في متحف (تورينو)اي وثيقة تورين ان السلالة الثالثة تتضمن اربعة ملوك حكموا 55 عام اي من سنة 2659 _2600 ق. م تقريباً, ويعبر عنها الكاهن المؤرخ المصري القديم منثيو باسم السلالة الملكية لمدينة منفس, ويظهر في الوثائق التاريخية الخاصة لهذه السلالة ان اسم ملكة تدعى (نمعت حب) وهذه الملكة من مصر السفلى وكانت زوجة لآخر ملك من ملوك السلالة الثانية وكان ابنها (زوسر) من اب اخر غير زوجها الملك وعلى الرغم من قلة المصادر التاريخية فأننا نعرف عن زوسر انه مؤسس السلالة الثالثة وانه قد بنى له قبراً من الحجر يبلغ ارتفاعه (60) متر ويعرف به (بمصطبة صقارة) المدرجة وهذا الاتجاه الجديد في الفن المعماري الذي برز في مصر في بداية السلالة الثالثة يعد ظاهرة جديدة في معتقدات سكان وادي النيل, اذ انهم عدو الحياة الثانية حياة مكمله للحياة الاولى, كما يظهر في هذا الدور ان قدماء المصرين كانوا يحرصون على ان يجعلوا حكم الملك وسلطانه يستمر حتى في الحياة الثانية اي كأنه لا يزال يحكم في عاصمته (منفس), ان هذا

الهرم المدرج الذي اشتهر في التاريخ بهرم زوسر اصبح من غير شك يعني ان هذه السلالة هي بداية لعصر الاهرام في تاريخ وادي النيل.

ومما يقال عن هذا الهرم واساس الفكرة في بنائه هو الوهية الملك.

تدلنا المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا ان (زوسر)حكم مدة 29 عاماً, وقد كان رجل علم وبناء محب للأدب, وقد برزت شهرته اذ ان المصريين القدماء قد عبدوا (زوسر) والهوه.

خلف زوسر الملك (زانخت) وقدخلد اسمه على نقش في الصخور, وكذلك ابتنى لنفسه مقبرة خاصة. وخلف هذا الملك جملة ملوك خلدوا اسمائهم على نقوش في كثير من الاهرامات والنصب تذكر اعمالهم ولا سيما في منطقة سيناء وجنوب بلاد النوبة .

السلالة الرابعة :

تكاد تتفق كافة القوائم الأثرية والكاهن المؤرخ (منثيو) والاثار المعاصرة على بضع اسماء ملوك هذه الاسرة. فمنثيو يذكر في كتابه اسماء ثمانية ملوك حكموا ما يقارب (277) سنة وابتدأ بملك يدعى (سنفرو) (سفرع) و تقدم لنا بردية تورينو قائمة باسماء تسعة ملوك سقطت منها ثلاثة اسماء, اما قائمة صقارة فتقدم لنا تسعة ملوك , والآثار المعاصرة تقدم لنا ستة ملوك على الوجه التالي :

1- سنفرع 2- خوفو 3- رع جدف 4- خفرع 5- منكرع 6- شبس مكف

ان هذا الوضع يكاد يكون موضع جدل بين هذا الخلط من الملوك حسب الترتيب, والاجماع يكاد يكون تاماً على ان خوفو خلف سنفرع. اما بقية

الملوك فالوثائق والقوائم تكاد تكون مجمعة على ترتيبها , وحجر بالرمو لم يقدم لنا دليلاً واحداً نستند علية والمقابر الشرقية في منطقة الاهرام تشير الى صراع قد حدث في اعقاب حكم خوفو بين اولاده.

ولدينا ما يؤيد ثبت اسماء بعض الملوك , ولا سيما عندما عثر في منطقة وادي الحمامات على طريق سيناء نقش يحوي على بعض اسماء ملوك تابعين لهذه الاسرة مرتبة ترتيباً يكاد يكون مشابهاً لترتيبنا هذا.

ونحن لا نعرف بالضبط كيف انتقل الحكم الى يد السلالة الرابعة ولكننا نعرف ان احدى الملكات قامت بدور مهم في نقل الحكم الى يد زوجها الملك سنفرع الذي كان من مصر السفلى.

ويعد هذا الدور بداية الاهرامات الضخمة فقد بنيت ثلاثة اهرامات كبيرة يعود احدها الى الملك سنفرع, اذ بدأ حكمه في بناء هرم كبير في ميدوم الواقع في جنوب صقارة , ولكن تركت لأسباب لن تتوضح بعد, ثم بنا هرماً اطلق عليه الهرم الأحمر الذي يبلغ ارتفاعه 100 متر, ومع ان الفرعون سنفرع حكم 24 سنة الى انه لم يترك لنا شيء من اعماله الاخرى ما عدا اخباره الحربية التي قام بها على بلاد النوبة وعلى الكنعانيين, وكذلك اصطداماته مع الأقوام الجزرية في صحراء سيناء.

ومن اخبار هذه السلالة التي دلت عليها الآثار ولا سيما ما يتعلق بالملكة (حتب حيرس) والتي نقلت الحكم الى يد زوجها (سنفرع) انها دفنت في الهرم الناقص في منطقة (دهشور) ولكن ابنها (خوفو) نقل الكنوز التي دفنت مع ابيه الى قبره في هرمه في الجيزة.

اعقب سنفرع ابنه خوفو الذي يعد من اعظم فراعنة المملكة القديمة, ويخصص له المؤرخ هيرودوتس 63 سنة, وتشير المعلومات التاريخية انه

كان محارباً شهيراً, اذ تدل على ذلك النصب المنحوتة في صحراء سيناء والتي تمثل المشاهد الحربية الواسعة.

لقد نقل خوفو اقامته الى الشمال من (منفس) بالقرب من الجيزة حالياً و اتخذها كل من الفرعون خفرع و منكرع مقراً لهما, وبنى كل منهما هرماً خاصاً به.

لقد خلد خوفو شهرته في الهرم الكبير طوال الوف السنين وهو اول هرم القادم الى الجيزة ويبلغ ارتفاعه 139 متر, وان دل هذا على شيء فإنما يدل على العظمة التي وصلت اليها الحضارة المصرية في هذا العهد.

ومن الملوك المشهورين لهذه السلالة هو خفرع, و المعلومات التاريخية تدل على ان خفرع لم يخلف والده للحكم بل حكم بعده بثمان سنوات, وذلك لحكم اخيه (رع جدف) الذي لم تزودنا المصادر شيئاً عنه.

وشهرة خفرع اتت من كونه باني ثاني هرم ضخم في منطقة الجيزة , وترجع الى عهد هذا الملك اقدم الاشارات الى لقب الفرعون (البيت العظيم) على الرغم من انه لم يستعمل لقباً رسمياً للملوك الا في عهد الاسرة الثامنة عشر.

وفي عهد هذا الفرعون بلغ فن النحت ذروته ولاسيما في التماثيل والقطع الفنية المختلفة والتي تزين متاحف العالم في الوقت الحاضر وما تمثال ابو الهول بهيئة رأس بشر وجسم اسد الا دليل واضح على تطور الن , والذي يدل على عظمة الفرعون خفرع و وجوده لحماية المعبد في العاصمة المصرية, حكم خفرع 56 عام وخلف على العرش ابنه منكرع الذي حكم زهاء 20 سنة اشتهر هذا الفرعون بكونه باني الهرم الثالث بالجيزة الذي يبلغ ارتفاعه 215 قدم.

تسلم العرش ابنه شبس كاف وقد خالف هذا التقليد الذي سار عليه اباؤه في بناء الأهرامات , فقد شيد له قبراً بسيطاً في جنوب صقارة بطابقين يدعى (مصطبة فرعون) ويخبرنا منيثو انه خلف هذا الفرعون ثلاثة ملوك آخرون, ولكننا لا نجد لهم ذكراً في النصوص التاريخية, الا انه يلاحظ في اواخر عهد الفرعون (شبس كاف) بدأت تظهر عبادة الاله (رع) وتطغى على عبادة الفرعون, وذلك بتدخل كهنة معبد الآلة (رع) في (هليوبوليس) اذ زاد نفوذ كهنة (رع) مما ادى هذا الى انتقال الفرعون شبس كاف من عاصمته الى صقارة, الى ان هذا لم يجدي نفعاً فانتقلت السلطة الى ما يعرف بالأسرة الخامسة وحتى انه قال ان الاسرى الخامسة العامة كانوا من زوجة كاهن من كهان الاله رع.

السلالة الخامسة:

كان من جراء انتشارعبادة الاله الشمس (رع) في بلاد وادي النيل برمتها, ازدياد نفوذ الكهنة في بلدة عين شمس, وبدأت طبقة الكهان تتدخل تدخل مباشر في امور الدولة الرئيسة ولاسيما عندما توفي اخر فرعون من فراعنة السلالة الرابعة بدون وريث على العرش الفرعوني, قامت الملكة حنت كاوس ابنة الفرعون منكرع وادعت لنفسها العرش فتزوجها احد النبلاء الذين لهم الحق في وراثة الفرعون, ومن المحتمل انه يمثل الكاهن الاعلى للإله رع, وقامت بتدبير شؤون المملكة مع عدم ذكر زوجها في النقوش الاثرية واثباتات الملوك, ولكنها رزقت من هذا الكاهن ولداً ورث العرش الفرعوني.

ان فترة الانتقال الى السلالة الخامسة كانت ذات اثر بليغ في معتقدات سكان بلاد وادي النيل, اذ بقي هذا الأثر في نفوس الناس اجيال عديدة, كما ان هذا الاله طغى على الاله الفرعون الذي صار اب الاله رع بينما كانت قبل هذه السلالة الاله العظيم, ان المكانة الدينية المهمة التي احتلتها عبادة الاله الشمس (رع) في معتقدات سكان وادي النيل ادت الى ادخال اسم رع ضمن اسماء الفراعنة اذ نجد معظم ملوك هذه السلالة يدخل فيها اسم الاله رع.

يعد الفرعون بوسر اول فراعنة هذه السلالة وتخبرنا وثيقة بالرمو ان هذا الفرعون قد منح جميع اراضيه الخاصة الى معبد الاله رع, وامده بالقرابين وكذلك بنى له محراباً في معبد حور بمدينة بوتو (تل فراعيين) وخصص لعبادة البقرة (حتحور) ام الاله (رع) وبذلك نراه يظهر الأهتمام

بالإله رع باعتباره ينتسب الى طبقة الكهان, كما انه بنى له هرماً في ابي صير.

خلف بوسر (سحور_ رع) وليست لدينا معلومات عن نسب هذا الفرعون ويقال انه اخو , ويعد هذا الفرعون من المهتم بالشؤون الحربية , اذ عثر له في شبه جزيرة سيناء على لوحة يظهر فيها لابساً تاج مصر السفلى , كذلك ترك لنا هذا الفرعون اثرً في بلاد النوبة مع اهتمامه ببناء المعابد , ولاسيما معبد الاله الشمس في ابي صير بالقرب من مدينة منفس .

ومما يقال عن الحضارة المصرية في هذه السلالة انها لم تكن تمتاز عن باقي السلالات باستثناء تبدل الديني ببروز الاله الشمس وتضائل سلطة الفرعون السياسية , وقد عثر في ابي صير في الجيزة شمال غرب صقارة على ثلاث اهرامات صغيرة تعود الى ثلاثة ملوك من ملوك السلالة الخامسة , وهم (سمو_رع)و(نفير كارع) و (نبسور _رع) وقد امدتنا المعابد المخصصة لعبادة الاله رع الملحقة بهذه الأهرامات بمعلومات مهمة ولاسيما المنحوتات البارزة في تاريخ الفن المصري القديم , وقد سجلت هذه المنحوتات حوادث مهمة في حياة هؤلاء الفراعنة

وعلاقاتهم بالعالم الخارجي , اذ كانت لهم علاقات وثيقة مع الأقوام العربية ولاسيما سكان صحراء سيناء وسكان المنطقة من العرب الكنعانيين اصحاب العلاقات القريبة لهذه الاسرة .

كذلك زودتنا المعابد القديمة التابعة لهذه السلالة كتابات ادعية وتعاويذ سحرية ورقى تجلب السعادة والسلامة لروح الفرعون في العالم الثاني , وقد صارت اساس ما يعرف بتاريخ مصر باسم (كتاب الاموات) .

وتخبرنا قائمة الملوك ان السلالة الخامسة حكمت حوالي 130 سنة , وكان اسم اخر ملك من ملوكها هو (اوناس) , ولكنه يعد من ملوك السلالة السادسة .

السلالة السادسة :

لا توضح من المعلومات التاريخية الطريقة التي انتقلت بها الحكم الى السلالة السادسة و لكن بعد المؤرخين يذكرون ان (اوناس) هو اول فرعون من فراعنة السلالة السادسة , كذلك زودتنا النصوص المدونة في الاهرامات اسماء اربعة ملوك وهم علة التوالي (شيتي) او (شيتا) في مدينة منفس , و(ببي الاول) (مرى رع) و(ببي الثاني) (نفير_كا_رع) وتقع اهرامات هؤلاء الملوك الاربعة في صقارة .

لا توجد اعمال مهمة تعود الى فراعنة السلالة السادسة , ولكن يظهر ان في عهد الفرعون (ببي الثاني) الذي حكم تسعين سنة حسب ما ذكر هيرودوتس نقلاً من قائمة الملوك , دب الاضمحلال والتسيب في الادارة , وتذكر الوثيقة التاريخية المعروضة في متحف (لايدن) في هولندا والتي تعود الى العهد الامبراطوري (السلالة الثامنة عشر) عن فترة هذا الفرعون لأنها كانت من اسوء الفترات السياسية التي مرت في تاريخ مصر , اذ انفصلت مصر العليا عن العاصمة منفس كذلك هاجمت بعض القبائل العربية القادمة من سيناء مصر السفلى , هذا الى جانب الانحلال في الادارة المركزية اذ استقل اكثر حكام الاقاليم المعينين من قبل

الفرعون بأقاليمهم , اذ ادت الى تضاؤل سلطات الفرعون وانتقال السلطة المركزية المتمثلة بالفرعون الى سلطة غير مركزية بيد ولاة الاقاليم مع تدهور الحيات الاقتصادية واصبحت تسير نحو الانهيار

السلالة السابعة والثامنة:

ليست لدينا معلومات وافية عن هذه الفترة نتيجة التدهور والانحلال الذي اصاب المملكة المصرية بسبب الانهيار السياسي للمملكة ولاسيما الانفصال التام عن مركز الحكم من قبل النبلاء وتبدل علاقاتهم مع الفراعنة واستقلال هؤلاء النبلاء في إقطاعاتهم وتكوين ما يسمى بدويلات مدن تدار من قبلهم , وتذكر وثيقة تورينو احصائية عن ملوك السلالة السابعة والثامنة فتقول انهم حكموا 181 سنة , كما تذكر ان دوراً تاريخياً مهماً قد انتهى وهو الدور القديم , وبدأ عهد جديد هو عهد الاضمحلال .

فترة الاضمحلال 2190_2000 ق. م :

تعد السلالة الثامنة نهاية الفترة القديمة وتذكر النصوص التي تعود الى زمن الملك بيبي الثاني من السلالة السادسة والذي حكم ما يقارب من 90 سنة ان الامور في المملكة المصرية بدأت تضمحل وتنهار , وتذكر الكتابات ولا سيما الكتابات على القبور الصخرية في مصر العليا أن المملكة دخلت بعد السلالة الثامنة في فترة اضطراب سياسي داخلي , إذ ان كثير من النبلاء وإمراء الاقطاع والمتنفذين حاولوا تأسيس سلالات خاصة بهم , وتذكر لنا المصادر التاريخية قيام سلالتين رئيسيتين في مصر العليا وهي سلالة (أبيدوس) والسلالة القبطية نسبة الى العاصمة (كوبتوس) وان هاتين السلالتين تكونتا على حساب الامارات الصغيرة والتي استقلت حال وفاة الفرعون بيبي الثاني , ولكن هاتين السلالتين لم تحكما طويلا فانتهت بسرعة وقامت مكانهما أمارة قوية هي إمارة (هيراكليوبوليس) جنوب الفيوم في شمال مصر العليا . وقد ذكرت هذه الامارة في قائمة الملوك وعدت الوريثة الشرعية للدولة القديمة , وتكونت منها سلالتان التاسعة والعاشرة واستطاعت أن تضم إليها مدينة منفس .

لم تظهر لنا من خلال الحفريات قبور هاتين السلالتين ولكن المعتقد أن قبور ملوك هذه السلالة في المقبرة الواسعة في صقارة وانهم واصلوا حضارة الدولة القديمة , ويعد مؤسس السلالة التاسعة التي نشأت في مدينة (هيراكيوبوليس) هو الأمير (خبتي) الذي انتقل الى مدينة منفس وجعلها عاصمة له , ولكن حكمه لم يشمل كل البلاد بل اقتصر على مصر السفلى فقط حتى مدينة (ابيدوس) , اذ كانت في الجنوب سلالة قوية في مدينة طيبة , اذ ادت في النتيجة الى سيطرة طيبة على مملكة الشمال , وتأسست على أثر هذا الانضمام ما يسمى في التاريخ بالدولة المتوسطة .

الفصل الرابع

الدولة الوسطى 2000_1787 ق.م

عودة الاستقرار

الاسرة الثانية عشر :

تعد ايام الدولة الوسطى ايام فتح جديد بالنسبة لبلاد وادي النيل , بعد الظروف التي احاطت في نهاية الدولة القديمة من جراء سيطرة النبلاء والامراء حكام الاقاليم التابعة للدولة , لقد كانت سلطة الامراء مستمدة من سلطة الفرعون , وإلا ان النبلاء اخذا يفكرون في الانفصال في نهاية عصر الاهرام نتيجة ضعف سلطة الفراعنة , فانتقلت الدولة من حكومة مركزية الى حكومة لا مركزية واستقلت فيها اكثر المقاطعات وانسلخت عن العاصمة فعادت البلاد الى دويلات مستقلة متنافسة فيما بينها , ومما زاد في الاوضاع السياسية سوءاً هو ما اصاب موارد الدولة من الارهاق والفوضى التي حلت في البلاد واستمرت اكثر من مائة عام واصبح الفرعون ليس له سوى الاسم .

لم يتمكن الفراعنة من السلالات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة من السيطرة على الامور نتيجة الاضطرابات والفوضى والحروب بين امراء المقاطعات فأخذت مدينة طيبة على عاتقها ان تخضع في اخر الامر اكثر

المدن وتبسط سلطانها على سائر بلاد وادي النيل وتضمها في مملكة واحدة مبتدئة بعهد جديد , وقيام دولة نهضت فيها بلاد وادي النيل من عثرتها وكبوتها واخذت مكانها الاول الذي عرفته في ايام الدولة القديمة , لقد كانت هذه النهضة عظيمة بحوادث من المحن الجبارة العاتية والانحلال السياسي الخطير , الذي ادى الى الانقسام في حكومة الفرعون وجرها الى نظام اقطاعي فاسد , وتقسمة البلاد فية الى مقاطعات ودول إلى جانب الحروب المتتالية , نتيجة اطماع النبلاء ورجال الاقطاع طيلة ثمانين عاماً , تدير رحاها شهوة الحكم والسلطان

بين دولتين احدهما دولة طيبة والثانية مملكة اهناس , لقد اصبحت سلطة الحكام المحلية واسعة , اذ نرى ان اكثر اراضي مصر لم تعد ملكاً للتاج الفرعوني وادارة الاقاليم لم تعد بيد اولئك النفر من رجال الفرعون , لقد اجتمعت المصادر المختلفة على تقدير حكم الاسرة الثانية عشر بحوالي (213) سنة من عام (2000-1778) ق.م وهذه السلالة تعاصر سلالة بابل الاولى اي عهد حمورابي , بل والاكثر من ذلك ضبطاً للتاريخ ان بردية تورينو حددت مدة الحكم ب(17 يوم وشهر واحد و213 سنة) وقد اتفقت القوائم التاريخية والاثار المعاصرة جميعها على اسماء ملوك هذه الاسرة مع ملاحظة ان ملزك هذه الاسرة اتبعوا خطة الاشتراك في الحكم مع ابنائهم .

بداية الاسرة الثانية عشر :

ان فراعنة الدولة الوسطى قد تمكنو بعد جهود طويلة من القضاء على نفوذ لامراء في الاقاليم معتمدين على من ولاهم في سبيل عملية التوحيد , ولم تكن العقبات التي قامت با هذه الاسرة وبناء عرشها وتدعيمه من شيء هين ان يسير , وانا كانت صعبة لقيت الاسرة في سبيل ازالتها والتغلب عليها كثير من العنت والمشقة , ويعد " اممنحات الاول " اول عاهل استقبل ايامه بالحرب والكفاح وضرب العصاة والثائرين من الامراء , لقد تسلم هذا الفرعون الحكم عام (2000) ق.م علة الارجح

بعد سنوات من جلوسه على عرش امارة طيبة قرر ان يجعل من هذه الامارة قاعدة ينطلق منها لكي يقضي على منافسيه ويؤسس اسرة جديدة تمثل بلاد وادي النيل في عصرها الذهبي , وتوصل مصر الى دولة تمدد حدودها الى ابعد ما وصلت اليه في دولتها القديمة , لقد احتضن هذا الفرعون معبوداً جديداً لم يكون لإقليم طيبة عهد به من قبل , كان ذلك المعبود يدعى امون , واصبح هذا الاله هو حامي مدينة طيبة ودخل اسمه في ترتيب اكثر الاسماء من جملتهم هذا الفرعون , وقد نجح اهل طيبة في جعل هذا الاله رب الارباب حتى بلغ اعلى درجات السمو ايام الدولة الحديثة .

لقد ادرك هذا الفرعون ان طيبة لا تصلح للحكم فمد بصره الى قلب الوادي واختار مركزاً اخر عن رأس الدلتا الى شمال الفيوم , اذ بنى قلعة اطلق عليها اسم " انت تادي " اي مأخذ الارضين , وهذا ما يشير الى ماله فقد اراد ان يراقب امور النيل في كلا الشطرين من مكان قريب , انه بتقدير يدل على بعد النظر السياسي اذ يستطيع ان يترقب من اهل الشمال .

ومن الامور المهمة التي نعرفها عن هذا الفرعون الذي حكم ما يقارب من ثلاثين عاماً انه حارب سكان سيناء من العرب القدماء لمنعهم من دخول مصر وبنى سوراً لصد هجماتهم , ولقد حفظت لنا بعض اخبار هذا الفرعون ولاسيما في قبر هذا الملك في منطقة الدير البحري , وهو معبد الاموات المكون من طابقين وكذلك الواح الحجر تمثل لنا الانتصار الذي حققه هذا الفرعون في منطقة النوبة , ونستنتج من هذه الالواح ان هذا الفرعون استطاع ان يقيم حكماً قوياً ويؤسس دولة جديدة ثابتة الاركان .

ومن المعروف ان هذا الفرعون قد اشرك ابنه في الحكم في العام الاول من ولايته , لكي يسهل عليه تسيير الامور ولكي يستطيع ان يؤمن العيش لشعبه خلف هذا الفرعون ابنه (سنوسرت الاول) بعد ان مهد له الامور السياسية , اذ ا توجد وثائق تشير الى حروب اهلية داخلية واشتهر هذا العهد بتقدمه العلمي , كما اشتهرت مدينة طيبة بصناعاتها الفنية ولاسيما

الاواني الفخارية الجميلة , الا ان وثيقة تتحدث عن اضطرابات داخلية حدثت في السنوات السبعة الاخيرة من حكم هذه السلالة .

خلف لنا ملوك السلالة الثانية عشر انجازاتهم العمرانية في جملة من المدن المصرية فقد بنو المعابد للاله (امون) في الكرنك في (طبية) والاله (رع) في هيليوبولس , كما شيد الملك (سنسورت الاول) اولى المسلات العظيمة في مصر في معبد هيليوبولس , كما تطور الفن هو الاخر في زمن السلالة الثاني عشر واصبح يمتاز بالواقعية ومحاكاته الطبيعية , وبلغ الفنانون المصريون درجة كبيرة من المقدرة للتعبير عن التناسب , وقد وصلتنا بعض الاخبار عن الفنانين حتى ان احدهم خلف لنا اخبار مدونة على مسلى يتحدث فيها عن مهاراته الفنية في تصوير الانسان بالأوضاع المختلفة سواء في الجلوس او في الحركة .

واذا ما رجعنا الى الاوضاع السياسية في مصر زمن السلالة الثاني عشر فانه يمكننا القول بان الحالة السياسية كانت تتميز بالاستقرار وتوطيد الحكم بصورة عامة , ولعل الفترة الطويلة التي حكمت فيها هذه السلالة خير دليل على استتباب الاحوال السياسية , اذ بلغ حكم هذه الاسرة ما يزيد على (213) عاماً اي الفترة (2000-1787) ق.م حكم خلالها ثمانية ملوك تذكر الاخبار التي وردتنا في قصة سنوحي من خلال التاليف الادبي التي تركها لنا هذا الاديب المصري , ووصلتنا منها نسخ عديدة اقدمها يعود الى زمن السلالة الثاني عشر نفسها , لقد كان (سنوحي) احد الامراء وواحد من ابناء الملك (امنمحات) كان في حملة مع ابيه ضد الليبيين وعندما سمع بمقتل ابيه هرب خوفاً من نتيجة الاحداث المترتبة على ذلك , ففر الى الديار السورية والتجأ فيها الى احد شيوخ القبائل العربية في سيناء , وقد جاء في قصته وصفاً ممتعاً لبلاد الشام وقبائلها العربية من الكنعانيين , اذ يذكر (سنوحي) بانها بلد الخيرات وبلد الاشجار والزيتون والزراعة والماشية وبقي (سنوحي) في ملجاه السياسي وتزوج من عربية كنعانية وادركته الشيخوخة الى انه ترك اولاده وزوجته وعاد الى ممصر بعد ان عفا عنه الفرعون (سنوسرت الاول)وارسل اليه وفداص يطلب منه العودة الى مصر .

لم يحاول ملوك المملكة الوسطى مد نفوذهم الى البلاد السورية والفلسطينية غير ان موقفهم كان يختلف تماماص بالنسبة الى البلاد الواقعة جنوب مصر والتي تعرف باسم بلاد النوبة , وكانت هذه البلاد تقسم الى قسمين النوبة السفى والنوبة العليا والتي تشمل ما يعرف اليوم بالسودان والحبشة .

ولاجل ان تحافظ بلاد وادي النيل على وحدة بالدها فقد قام فراعنة السلالة الثاني عشر ببناء سلسلة من الحصون في مناطق مختلفة من حدود الدولة المصرية , لقد حكمت السلالة الثانية عشر في فترة طويلة بلغت فيها الدولة المصرية مرتبة طويلة من الازدهار والرقي في الامور الادارية والفنية والعمرانية , اذ دلت الاثار التي تركوها شاهداً عظيماً على عظمة هذه الدولة وسيادتها على كل بلاد وادي النيل , وتعد الملكة (سبل-نفرو-رع) اخر ملكة لهذه السلالة وحكمة ثلاثة اعوام .

فترة الاضمحلال

السلالة الثالثة عشر :

ويمكن القول بصورة عامة ان فترة الاضطراب الثانية في تاريخ مصر ,

والتي شملت الاسرة الثالثة منذ (1787 ق. م) , تشبة الفترة المظلمة الاولى , ففيها تتميز الاوضاع بعدم الاستقرار وبحكم فراعنة ضعفاء لم يستطيعوا ان يعيدوا الامور الى نصابها , وتشمل هذه السلالة الثالثة عشر والرابعة عشر , وبلا نستطيع تمييز الاحداث , على الرغم من قلة المصادر فأنها تخبرنا عن الانهيار الذي اصاب مصر , وهذا الانهيار كان نتيجة اسباب سياسية واصيب التاريخ بفترة انقطاع وتوقف . قدم لنا (مانثيو) الكاتب المصري قائمة ملوك هذه الاسرة بستين ملكاً نسبهم الى طيبة وجعل حكمهم (453)عام وجعل اول ملك لهم (وجاق), والواقع ان اخبار هذه الاسرة تعد من اصعب الامور نظراً لقلة المصادر وقلة الاثار والوثائق التي يعتمد عليها في دراسة هذه الاسرة , ويمكن وضع نقاط تميزت بها هذه الفترة :

1. مجموعة من التماثيل والنقوش ذكرت اسماء اصحابها في بردية (تورينو) وقائمة الكرنك .
2. مجموعة اخرى تكون أثار مهمة وتماثيل لأسماء في معبد الكرنك توحي بأنهم مغتصبون للعرش و فاحدهم رئيس الجند يوحي لقبة انه اغتصب العرش لنفسه , والاخر وزير في (ابيدوس) يذكرهم اسم ابيه وامه اللذان لا يمتان بصلة إلى عائلة ملكية .

3. مجموعة ثلاثة مكونة من (34)ملكاً طبقاً لبردية تورينو احدهم يحمل لقب (تخسي) وقد قام باصلاح معبد (ستخ)في (ثانيس) وهذا يلقي ضوءاً على بعض الاحوال السياسية في ذلك العصر , اذ ان ستخ هو اله الصحراء والبلاد العربية في منطقة سيناء والذي جعله الهكسوس فيما بعد حامياً لهم , ويعد هذا الملك السابع والخمسون من قائمة الستين ملكاً , وعلى هذه الصورة حاول ملوك

مدينة طيبة اعادة الملك لهم , الا انهم لم يستطيعوا نظراً لتفكك مصر وعودتها الى الانقسام , الى ان حلت الاسرة الرابعة عشر التي في بدايتها بدأت جحافل العرب الكنعانيين والاموريين المتحدة مع عرب سيناء دخولها مصر , وتأسيس سلالة لعبت دوراً مهماً في التاريخ على الرغم من الاهمال الواسع من قبل اكثر المؤرخين لهذه الفترة الزمنية .

السلالات العربية القديمة

الهكسوس

الاسرة الرابعة عشر /الخامسة عشر

السادسة عشر / بداية السابعة عشر

تختلف اراء المؤرخين واقوالهم تتضارب عند الكلام عن اصل الهكسوس ومواطنهم الاصيل . فمنهم قائل انهم قبائل عربية تسكن سوريا , وفلسطين وبلاد الجزيرة العربية نزحوا الى مصر في نهاية الدولة الوسطى , ومنهم من يقول انهم هاجروا من سوريا وفلسطين نتيجة ما حل لهم من ظلم حكام الاقوام الهندو_اوربية , وبسبب ضغط الاريين من جهة اخرى , ومن المؤرخين من يقول انهم خليط من عدة اقوام غزة مصر من سوريا وفلسطين نتيجة تعرض الشرق الادنى الى هجرات الاقوام الهندو_ الاوربية للمنطقة .

مما تجدر الاشارة إلية انه لم تصلنا نصوص كتابية معاصرة لفترة حكم الهكسوس في وادي النيل , وان المعلومات المتوفرة لدينا جاءت من ازمان لاحقة بعد انحسار حكم الهكسوس عن مصر ز

ولا غرابة في ان المؤرخين والكتاب المصريين المعاصرين لفترة الهكسوس والمصريين المحدثين كانوا يرون في هذه الفترة احتلال وسيطرة الاجنبي على بلادهم , وكأن الهكسوس اتوا من خارج حدود

الامة العربية , ولذلك لم يعنوا بالكتابة عنهم ولم يعطوا هذه الفترة حقها الى جانب الكتاب الاجانب المختلفين فيما بينهم السائرين وراء الاستعمار الصهيوني الذين شوهوا معالم هذه الفترة , واضافوا اشياء لم تكن واردة في النصوص التاريخية بل غالطوا في التاريخ كثيراً وكشفتهم الحقائق التاريخية اللاحقة , ونحن بدورنا نكتب عن اصل الهكسوس وحضارتهم وتأثرهم وأثارهم في الحضارة المصرية القديمة , والتي هي جزء من حضارة الامة العربية المجيدة , وتعد مصر

كباقي الاقاليم العربية تعرضت الى فترات سياسية مختلفة عبر التاريخ الطويل للامه العربية , كما ن هذا القطر لا ينفصل عن منبع الاقوام العربية.

نستطيع ان نقول من خلال النصوص المتوفرة لدينا لدراسة التاريخ ان منذ بداية فجر التاريخ في مصر , اي منذ قيام الدولة القديمة الأولى نرى اشارات واضحة في الكتابات المصرية المنقوشة على الاحجار والنصب تبين مدى العلاقة الوثيقة مع منطقة القبائل العربية في سيناء , والتي يطلع عليها قبائل (العامو) , وهم الأموريون بدون شك او العامريون , وكذلك الصلات الوثيقة مع منطقة الكنعانيين في الساحل اللبناني والفلسطيني اي سواحل بلاد الشام وهذا ما تدعمه الشواهد الاثرية في مختلف اوجه الحياة في بلاد وادي النيل وفي منطقة جبيل الساحل اللبناني .

ونحن بدورنا كمختصين بدراسة القراع القديم نستطيع استخلاص الحقائق التاريخين بصورة تنسجم مع الواقع العلمي والحضاري للامه العربية , معتمدين اعتماداً كلياً على التحليل العلمي لا المغالاة , وبكوننا عرباً ولا اغفال للحقائق العلمية على اعتبار ان تاريخ هؤلاء القوم هو جزء من تاريخ الامه العربية في تلك الفترة , ولهذا نستطيع ان نرد على هؤلاء المؤرخين الذين شوهوا الحقائق التاريخية مندفعين بتعصبهم الاعمى ضد الامه العربية , فمن خلال البحوث والاثار المتوفرة لدينا ومن خلال ما

وقع فيه هؤلاء المؤرخين من خطأ يتبين افتراضات باطلة ومشوهة كافتراض الكاتب الصهيوني (يوسفوس) الذي سرق جزءاً من الوثيقة المعروفة لوثيقة مانفيو ونسبها لليهود متناسياً ان الدولة اليهودية ظهرت بعد الكهسوس بعد قرون , وهذا اول دحض لافتراءات هذا الكاتب وكذلك رداً على بعض الكتاب الذين سموا هؤلاء القبائل بالقبائل السامية وهذا تعبير خاطئ ايضاً اراد به الكاتب الالماني الاصل الصهيوني (شلوتزر) في القرن الثامن عشر الميلادي ان يعطي صفة شرعية لليهود الصهاينة في المنطقة العربية كما ان الكتاب الذين قالوا عنهم انهم من الهنود الاوربيين نزحوا الى مصر,

وهذا أيضا خطأ غالطوا انفسهم به على اعتبار ان بلاد الشام سكنت قبل هؤلاء الاقواء , بينما المعروف ان سكان بلاد الشام هم من اقدم الاقوام العربية استيطاناً .

وعلى هذا الاساس فان الهكسوس , التسمية التي جاءت لهم و هم من الاقوام الجزرية المستوطنة في بلاد الشام و وقامت بدور في التاريخ هو السيطرة على مقاليد الحكم في القطر المصري مستغلة الظروف السياسية .

1. ان كلمة الهكسوس لا تعني قوم اي لا تعني اسماً علماً , وانما هي لقب اطلقه المصريون القدماء على كل حاكم بلاد غريبة اي بمعنى الواسع حكام المناطق الاجنبية , فقد ورده هذا التعبير في تاريخ مصر قبل مجيء الهكسوس أليها , وذلك في زمن السلالة الثانية عشر واستعمله المؤرخ المصري (سنوحي) التي ألتجأ الى بلاد الشام في فترة الاضطراب الذي عم مصر نتيجة مقتل الفرعون (امنمحات الاول) , وكتب عن فترة الاضمحلال التي سبقت هذا العهد , الا ان الكاتب المصري منثيو الذي عاش في (280 ق. م) اخذ هذا التعبير وفسره تفسيراً خاطئا بانه يعني "ملوك الرعاة " فلذلك ان كلمة هكسوس وهي بالمصرية القديمة (حق _ حاسوت) اي حكام البلاد الاجنبية اي بمعنى الواسع التي تقع خارج حدود المملكة المصرية آنذاك .

2. اسطلاح (منثيو _ ساتت) يطلقه المصري على قبائل البدو الجزرية التي كانت تجوب الصحراء الشرقية وشبة جزيرة سيناء وهم كنعانيون وأموريون .
3. المصطلح (شاسو) لقب اطلقه المصريون على القبائل المقيمة في صحراء جنوب فلسطين , وكلمة (شاسو) معناها رعاة .

4. الهكسوس باللغة اليونانية تتألف من كلمتين(هك_بمعنى ملك) و(سوس_ بمعنى راعي) اي الملوك الرعاة
5. (العامو) لقب يطلق على القبائل العامورية في بلاد الشام .

من هذه الاسماء نستدل على ان الهكسوس من اصل جزيري و اي منطلق من شبة جزيرة العرب المهد الاول للقبائل الجزرية التي انحدرت عبر العصور الى الارض العربية المتمثلة اليوم بالأقاليم المجزئة , وعلى هذا الاساس وكنتيجة معروفة في التاريخ , ان اكثر القبائل التي نزحت من جزيرة العرب استقرت في الاول في بلاد الشام , لذلك فأن الهكسوس جزءاً من الكنعانيين اتحدوا مع الاموريين وسكنوا بلاد الشام في مستوطنات خاصة بهم , وعلى الخص في جزئها الجنوبي , ومما يدعم هذا الراي ان اغلب اسمائهم التي خلفوها في مصر وسوريا وجزيرة كريت احدى مستعمراتهم هي اسماء عربية تتردد في كثير من الالواح التي خلفها ملوكهم مثل يعقوب _ وابوفيس _ عبد_ محمال _ بنون _سلاطيس _ اباخنان _ اضافة الى الكلمات العربية التي ضلت تستعمل في مصر بعد فترة الهكسوس وهي كلمة العربة _ المركبة عجلوتي بمعنى عجلة , اضافة الى دخول اسماء الاله غير المصرية بل عربية كعشتروت _ بعليم لي (هبل _ بعل) اضافة الى ذلك علاقة الهكسوس لبلاد الشام خلال حكمهم علاقة وثيقة , فقد عثر في تلال فلسطين واريحا

ومجدو على بعض اثار هؤلاء القوم كذلك ازدهار التجارة مع بلاد الشام بصورة كثيفة .

هذا بالإضافة الا انهم بعد سقوط دولتهم في مصر السفلى نزحوا الى فلسطين وتحصنوا بها ثلاث سنوات , ومن الاشياء المهمة عن علاقتهم بالعرب ان عاصمتهم في مصر خططوها على اطراف الصحراء , وهذه ميزة امتازت بها العواصم العربية عبر العصور , كل هذه الدلائل مع اخبار الكاهن المصري منثيو تدل دلالة واضحة , وبدون شك ان هؤلاء عرب جزريون اسسوا سلالة عربية في بلاد وادي النيل

اما الموطن الذي انطلق منه الهكسوس الى مصر فتتفق كل الآراء انهم كانوا يستوطنون بلاد الشام خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد , وتركوا في بلاد الشام اثار حصونهم الخاصة ولاسيما في الموضع القديم المسمى (قطنا) الذي يرجح انها كانت عاصمتهم في بلاد الشام نظراً لموقعهم الاستراتيجي المهم بعد هؤلاء القوم اصحاب نظم عسكرية خاصة , كذلك في قاديشا واريحا في فلسطين , وتميز نظامهم في سوريا بالنظام العسكري وهذا دليل اخر على انهم لم يكونوا هجرة نتيجة ضغط معين , بل انهم قوم فتحوا مصر بجيش منظم مستغلين بذلك الظروف السياسية والنزاع الداخلي الذي حدث بعد السلالة الثانية عشر , والصراع التقليدي بين مصر العليا ومصر السفلى فأنتهز الهكسوس هذه الفرصة نتيجة للفوضى التي سادة مصر فدخلوها من جهة الشمال في حدود عام (1780 ق.م) بجيش مدرب ومنظم تنظيماً عسكرياً مستخدماً اسلحة جديدة ابهرت الفراعنة كالسيف المقوس المصنوع من الحديد الذي لا يعرفه المصريين لان استخدام هذا المعدن لم يدخل مصر بعد كذلك القوس المركب بالعربات الحربية التي تجره الخيول التي لم تكن معروفة في مصر قبل هذا العهد , اضافة الى انشائهم تحصينات عسكرية قوية في عدد من النقاط المهمة على طول حدود مصر السفلى ولاسيما في المنطقة الغربية من فلسطين .

اختلفت الآراء في مدة حكم السلالات العربية المتمثلة بهذه الفترة من تاريخ مصر القديمة , واستنتاجاً من هذه الآراء ممكن ان نحدد الفترة التي حكموا فيها في فترة قرنين من الزمن , ففي لوحة الاربعمائة سنة تتحدث هذه اللوحة بمناسبة مرور اربعمائة سنة على عبادة (ستخ) وهذه اللوحة من زمن حكم رعمسيس الثاني (1280 ق. م) على عد عبادة (ستخ) في عام (1680 ق.م)

وهي السنة التي يفترض فيها على هذا الاساس قيام دولة الهكسوس , وليس ببعيد ان يكون الهكسوس قد دخلوا مصر حوالي عام (1780 ق.م) واسسوا عاصمتهم (اواريس) (حاوعرا) , واقاموا معبد الاله ستخ حوالي عام (1780 ق.م الى عام 1560 ق.م) فيكون قد مكثوا في البلاد مدى قرنين من الزمن لا مدى الذي يقدمه خطأ اكثر من مؤرخ قديم اي بمعنى ان حكمهم ينحصر الى ما بين السلالة الثالثة عشر وحتى الثامنة عشر .

والحقيقة فأنه ليس من الغريب ان نجد ان المصادر المصرية تصور حكم الهكسوس بصورة مظلمة , بل ان كراهية المصريين للهكسوس شديدة حتى ان اثارهم التي خلفوها بعد نزوحهم عن وادي النيل لم تسلم من التلف والتدمير بعد ان دخل الهكسوس في منطقة الدلتا بالذات وسيطروا عليها بخيلهم وعجلاتهم التي لم تكن للصمرين عهداً بها , جعل الهكسوس عاصمتهم الاولى في اواريس , الواقعة شرق الدلتا حتى اخذوا يمدون سلطتهم على اقليم الوادي كله فتركوا غرب الدلتا تحت امرت حكام محليين من المصريين , ونقصد بهم حكام الاسرة الرابعة عشر , ثم واصلوا زحفهم حتى منفس واتخذوا منها قاعدة لأداره شؤون البلاد الاقتصادية , والاثار تدل على ان الهكسوس قد حكموا مصر كلها ولاسيما في زمن ملكها (ابو فيس) وخيان , اذ تركوا آثار تدل على نفوذهم في

هذه المنطقة , وكذلك خارج حدود مصر في سوريا او فلسطين وجزيرة كريت , هذا بالإضافة الى مدافن الهكسوس

المتفرقة فب اكثر من مكان في الشمال والوسط وعلى مقربة من (هيلوبوليس) وفي ابي صير وفي منف او منفس , نستنتج ان سلطتهم امتدت الى هذه المنطقة ولم ينحصر في منطقة الدلتا .

لم تصل عن الهكسوس آثار ضخمة او معابد كبيرة , والسبب يعود الى ان المصريين بعد انتصارهم عليهم حطموا كل ما يمت لهم حتى تمحى ذاكرتهم ولا يبقى لهم اثر والشي النزر وصل الينا من اخبارهم وجد

على قطعة صغيرة من الفخار والأواني والعجول تحوي اسماء عدتها (23) اسماً , لا نستطيع ترتيبها تاريخياً , ومن المخلفات الحضارية المهمة التي ادخلها الهكسوس الى مصر الخيول , العربات الحربية و والسيوف المقوسة المصنوعة من الحديد , والقوس المركب و وفن التعدين , وبناء القلاع والحصون الحربية , هذا بالاضافة الى ان طائفة من التأليف العلمية ترجع الى عهدهم , كما ان جزء مهم من معرفتنا بالرياضيات المصرية مستمدة من نصوص عهد الهكسوس .

وفي النهاية ضعفت سلطة الهكسوس , وانغمروا في الملذات وتشبهوا بالفرعنة , وتركوا الامور بأيدي حكام غير امينين , وانحسرت سلطتهم في الشمال والوسط وتركوا مصر العليا منفرده تعد العدة للقضاء عليهم و ولا سيما مدينة طيبة التي كانت على شيء من الاستقلال و فثار عليهم جملة من الامراء طيلة نصف قرن كانت الحرب سجالاً بينهم و وتشير اغلب المومياء التابعة لملوك طيبة ان اصلهم من السلالة النوبية , ومن مظاهر الجثث ندرك انهم ماتوا قتلى اذ توجد اصابات قاتلة في مؤخرة الرأس . الا ان الاحداث عصفت بهؤلاء وانتهت الامور بانتصار طيبة وانسحاب الهكسوس الى بلاد الشام معلنة عهداً جديد لمصر دعي بالمملكة الحديثة والعهد الامبراطوري .

الفصل الخامس

المملكة الحديثة : العهد الامبراطوري

1570_ 1250 ق . م

سقطت دولة الهكسوس غاب سلطانها في وادي النيل بعد ان حكمت زهاء قرنين من الزمن متخذين من شمال الدلتا الشرقي قاعدة لعرشها , وكانت هذه الدولة ذات سلطان واسع بنت عاصمتها بمصر في منطقة شرق الدلتا بالذات ما بين الصحراء والوادي , ليكونوا على بعد قريب من صحراء العرب , ولعل شأنهم في ذلك شأن العرب في زمن عمرو بن العاص عندما فتح مصر بأمر من الخليفة الثاني الفارةق عمر بن الخطاب (رض) , فأقام عاصمته على شاطئ النيل الايسر في المكان المعروف بالفسطاط ليكونوا على اتصال دائم بالصحراء منبع العرب ومعدنها .

ان هذه الدولة التي اقامها الهكسوس لم يقدر لها النجاح فتم الانسحاب بعد معارك متواصلة مع مدينة طيبة في جنوب مصر , والتي تولت مهمة الحروب مع هؤلاء القوم وأسست بذلك سلالة جديدة هي السلالة الثامنة عشر ,

وتكاد تتفق كل المصادر على ان احموس (1570 – 1545 ق. م) اول فرعون مصري هذه السلالة في تاريخ وادي النيل , وقد قدر لهذه السلالة ان تصبح من المع الفترات في تاريخ مصر تقريباً , ولقد ذكرنا في موضوع سابق بأن الخيول والعربات اصبحت معروفة في مصر زمن الهكسوس , كما ان استخدام العربات ساعد الى حد كبير في زمن المملكة الحديثة على القيام بالفتوحات العسكرية وعلى نطاق واسع , كل عذا مهد السبيل الى قيام الامبراطورية المصرية في عهد السلالة التاسعة عشر , والتي وصلت حدودها جنوباً الى الشلال الرابع باتجاه الشمال الشرقي الى الفرات . ومما يذكر عن هذه الفترة هو انتقال الحكم الى العاصمة طيبة مرة اخرى وارتفاع شأنها بين المدن المصرية بعدها مركزا لعبادة الالة (امون رع)الذي كان مركز عبادته في الكرنك بالقرب من طيبة وفي حدود (1546 ق. م) خلف (احموسة) (امنوفس الاول) (1525 _ 1495ق.م) ولا توجد لدينا معلومات عما قام به من الاعمال , ويظهر انه كان مقدساً ولا سيما في نظر أحفاده . فقد اطلق اسمه على احد اشهر السنة الذي لا يزال متبعاٍ لدى اقباط مصر اليوم .

ومن بعده خلف زوج ابنته (توحتموس الاول) (1525_ 1495 ق.م) والذي قام بحملات عسكرية ناجحة في بلاد النوبة كما قام بحملة في الاتجاة الشمالي الشرقي وصل خلالها الى نهر الفرات الذي دعاه بالماء المقلوب , وذلك لجريان الفرات في اتجاه معاكس لنهر النيل و كذلك توغلت جيوشه الى حدود مملكة ميتاني آنذاك , اذ اقام مسلة تذكارية هناك , ويذكر الملك تحتمس الاول انه قتل عدد كبير من جيوش الاعداء واسر عدداً اخر , والحقيقة ان هذه العمليات العسكرية الواسعة تدل على مقدرة 8عسكرية , فنرى ان هذا الفرعون لم يسبقه إلى القيام بمثل هذه العمليات اي فرعون مصري من قبل ولا سيما في الاتجاه الشمالي الشرقي , اي بلاد سورية وفلسطين ما عدا توحتمس الثالث الذي جاء الى الحكم من بعده , ولم يكن عند توحتمس الاول من زوجته الملكة سوى ابنة اسمها (حت شبسوت) التي تعد من الوجهة الشرعية الوريث الشرعي للحكم ولكنها من الناحية العملية لا تستطيع ان تحمل لقب ملك

وتتفرغ لاعباء المسؤولية , وكان بستطاعتها عن طريق الزواج ان تخلع لقب الملوكية على زوجها , ومن ناحية اخرى فقد كان للملك توحتمس الاول ولد من زوجة اخرى , كانت ذات مركز ثانوي بالنسبة للزوجة الملكية , ولاجل ان يحفظ الملك العرش لابنه هذا فقد زوجه من (حت شبسوت)وهي اخته من ابيه .

وقد تلقب الابن بلقب (1490_ 1436ق.م) وحكم توحتمس الثالث مع زوجته ولكن في الواقع كانت السلطة الفعلية بيدها حتى انها استمرت

في الحكم يقارب ثمانية عشر سنة , وقد تلقبت بلقب الملك وظهرت في احدى المنحوتات وهي ببدلة الملوكية وترتدي التاج المزدوج لمصر السفلى والعليا وآثارها في المعبد الخاص بها القائم حالياً في الدير البحري بالقرب من طيبة و والذي يعد من المعابد الفريدة والشهيرة في مصر فهو بناء جميل مشيد بالحجر الجيري الابيض اسفل سفح الجبل , وقد بني المعبد بهيئة مدارج مستند على اعمدة ويوجد داخل الجبل مقبرة الملكة , وكذلك خلفت لنا هذه الملكة مسلة قائمة الى الان , ترتفع على علو (97.5) قدم , ويبلغ حجمها (180) ياردة مكعبة من حجر الكرانيت وزنها (700) الف باوند وعندما انتجهه حكم (حت شبسوت) في حدود (1436 ق.م) , انفرد الملك توحتمس الثالث بالحكم وتلقب بلقب الفرعون وهي الصيغة التعبيرية للمصطلح المصري (القصر الكبير) والتي كانت في الاصل تطلق على القصر , ولكنها اصبحت تستعمل بمثابة لقب رسمي للملك , وعندما انفرد الفرعون (توحتمس الثالث) في الحكم اظهر قابليات فذه كانت قد ظللتها شخصية الملكة (حت شبسوت) , وقد عبر هذا الملك حقده للملكة بانه قام بتحطيم تماثيلها ومسح اسمها من الكتابات حيثما وجدت في مصر كلها .

ومن ثم التفت الفرعون توحتمس الثالث الى الفتوحات العسكرية وكان تركيزه على الاراضي السورية والفلسطينية والحقيقة بان جده الملك

توحتمس الاول يدأ قبله بإخضاع القبائل والمقاطعات في هاتين المنطقتين , ولكن في زمنه حدثت ثورة وتمرد على السلطة المصرية هناك , وكان مستوطنوا الاراضي السورة والفلسطينية من العرب الذين يعرفون بالكنعانين والاموريين والاراميين وتكون حلف من بين هذه القبائل العربية ضد السلطة المصرية و وكان مركز تجمعهم في حصن قوي في مدينة (مجدو) في فلسطين العربية وقد تحرك الفرعون توحتمس الثالث بسرية ضد هذه القبائل وفاجأهم بان سلك مضايق جبل الكرمل واشتبكت جيوشه معهم , وقد وصلنا احد النصوص من زمن هذا الملك يتحدثون عن هذه المعركة ان جيوش الحلف التجأت الى مدينة (مجدو) نفسها وان الجيوش المصرية حاصرت المدينة واستولت عليها , ونتيجة للعمليات الحربية التي قام بها (توحتمس الثالث) في السنوات اللاحقة من عمره فانه استطاع من توحيد سيطرة مصر في منطقة واسعة تمتد حتى نهر الفرات , وعقدت معاهدة مع الدولة الخورية الميتانية اعترف بموجبها بسلطاتها على شمال سورة وامارتي حلب وكركميش مقابل تأمينها لمصر منطقة نفوذ على نهر الفرات وساحل بلاد الكنعانيين حتى مصب نهر العاصي وابقاء الامارات السورية الاخرى على حالتها بشرط ان تدفع الجزية للمصريين .

وقد انعكست انتصارات هذا الفرعون في ترانيم دينية تتحدث على لسان الاله (امون رع) وهو يرجع (توحتمس الثالث) وكيف انه اعطاه القوة والنصر ضد كل البلدان .

قام هذا الفرعون بأعمال عمرانية , كان من اهمها توسيع الاله امون في الكرنك و وقد خلد توحتمس الثالث بعض انتصاراته الحربية ودونها على جدران احد ممرات معبد الكرنك , كما انه اقام مسلات عديدة في الكرنك وفي غيرها من الاماكن وقد نقل بعضها في ازمان متأخرة الى القسطنطينية ولندن ونيويورك .

وكانت معظم الانجازات العمرانية قد انجزت بأشراف وزيره المسمى (رخيمرع) ,كان هذا الوزير ذو سلطات واسعة , وكانت كل الامور الادارية تقريباً تحت اشرافه ومن اهمها الاشراف على الاعمال العمرانية

, والحقيقة بأن منصب الوزير كان منذ بداية السلالة الخامسة , الى انه اصبح في العصور اللاحقة يعطى لشخص يختاره الملك بنفسه.

ولا بد لنا ان نتوقف قليلاً هنا لنتحدث عن اوجه المعتقدات الدينية في زمن السلالة الثامنة عشر , اذ وصلتنا مجموعة من اوراق البردي التي لها اهمية كبيرة بهذا الخصوص , ومن احسن البرديات مقطعاً من المجموعة وتعرف هذه المجموعة من الاوراق البردي بين المختصين بكتاب الاموات , وهذا الكتاب يرجع بدوره الى عصر الاهرام , تتحدث عن الامور الدينية والى القوانين والعدل والى اعمال القضاة وعن تعاويذ السحر المختلفة .

يمتاز عهد (كوحتمس الثالث) بأنه جعل لمصر الكلمة النافذة في الشرق الأدنى مدة (50 عام) , وتدل على ذلك الاخبار التي دونها على جدران معبد الاله الشمس في مدينة (هيلوبوليس) نقلها الرومان الى الاسكندرية في عام (13 ق.م) وفي سنة 1880 م نقلها الأمريكان الى نيويورك .

توفي (توحتمس الثالث) في السنة الرابعة والخمسين من حكمه اي في حدود عام (1448 ق.م) , وجاء من بعده ابه (امنوفس الثاني), ولكن ليست لدينا معلومات ثابته عن سنوات حكمه ونستطيع بالمقارنة مع الملوك الحثيين المعاصرين ان نضع حكمه بين 1448 و1422 ق.م وعلى الرغم من الكتابات التي وجدت منقوشة على معبد يعود لهذا الملك , فترى صورة تمثل ظهر سفينة عائدة من احد الموانئ السورية الى مصر فيها اسرى لأمراء سوريين , كان هذا الفرعون مولعاً بالرياضة والصيد, فقد عثر على احد الالواح بالقرب من ابي الهول في الجيزة كتابات تتحدث عن بطولة هذا الملك في فن الرماية ومقدرته الخارقة على اصابة الهدف , وعندما عثر على جثته المحنطة في سنة 1898 م في وادي الملوك بالقرب من طيبة عثر بجانبه على قوسه الذي قال عنه (بأن قوسي لا يستطيع غيري من الرجال على شده) .

وخلف هذا الفرعون على العرش ابنه (توحتمس الرابع) الذي لم يدم حكمه اكثر من تسع سنوات , وقد توفي شاباً تاركاً عدد كبير من الأولاد

وان اهم اثر لهذا الملك هو المسلة القائمة اليوم بين مخالب ابي الهول وعليها كتابة تذر وفاة هذا الفرعون , ويعد الملك (توحتمس الرابع) اخر ملك هاجم سوريا , وفي عهده عمت مصر فترة من الاستقرار السياسي خلف هذا الملك (امنوفس الثالث) الذي يعد بحق من الملوك العظماء في تاريخ وادي النيل , كما دلت على هذا الكتابة المنقوشة على جدران معبد الاقصر كما تم في عهده بناء المعابد للإله (امون)في منطقة الكرنك , والمباني الاخرى في الجهة الغربية من مدينة طيبة و في عهد هذا الفرعون بلغ الفن ولا سيما فن النحت والتصاوير على الوح الرخام والحجر درجة راقية . اذ تظهر لنا الصور المرسومة فناً جديدا لم نعهد مثله في اي وقت , يمتاز بالرقة وسمو الذوق والحرية في التعبير ونلاحظ لاول مرة في زمن الفرعون امنوفس ظاهره جديدة تطرأ على الدين تتعلق باعتقاد الشعب بالفرعون والصلاة في المعابد وهو نوع من الوعي الديني نلاحظة عند الملك نفسه اذ اخذ يشك في كونه الهاً .

ولدينا من الرقم الطينية الكثيرة عن المراسلات السياسية بين ملوك وامراء الشرق الادنى التي جرت في زمن (امنوفس الثالث) وابنه (امنوفس الرابع) وهذه الرسائل لم تكتب باللغة المصرية , وانما كتبت باللغة الأكدية , اللغة الدبلوماسية آنذاك , وهذه المراسلات هي عبارة عن وثائق مكتوبة بالخط المسماري ومن ضمن هذه المراسلات الملكية رسائل وتقارير كان يوجهها امراء المدن السورية وملوك الكشيين و والميتانيين و والحثيين الى فراعنة مصر .

والظاهرة البارزة في هذه المراسلات التي كانت تتداول بين هؤلاء الملوك هي مخاطبة كل منهم بكلمة اخي , ولهذا فان مراسلات تل العمارنة تقدم لنا صورة واضحة عن الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الشرق الادنى والمنطقة العربية ونتيجة لهذه المكانة السياسية المرموقة التي كانت مصر تتمتع بها بين دول العالم القديم فقد احتلت الديانة المصرية المكانة الاولى بين الديانات والمعتقدات السائدة في ذلك العصر .

ثم تلاه في الحكم ابنه الملك (امنوفس الرابع)(اخناتون)(1370_1353 ق.م) وكان هذا الملك وصياً مشاركاً في الحكم مع ابيه وقد سمى نفسه (اخناتون) عندما بدل اسم الاله الشمس (امون) الى (اتون) ومعنى اخناتون (المحبب للإله اتون) .

لقد بدأت بوادر العصيان تظهر في سوريا وفلسطين ضد السلطة المصرية قبل مجيء (اخناتون) الى الحكم .

ان اهمية هذا الفرعون لا تظهر في المجال العسكري ولكنها كانت على جانب كبير من الاهلية في المجال الديني و وتتخلص هذه الاهلية بأن اخناتون قد اكد عبادة الإله الواحد , وهو اله الشمس الذي تصور انه قرص الشمس والحقيقة فأن عبادة الشمس كانت امراً شائعاً في وادي النيل قبل ظهور اخناتون بأزمان طويلة, اذ كان هذا يلقب بخالق الانسان والماشية وسيد كل الكون ,وعندما اصبحت طيبة عاصمة لمصر فأن المعبد الضخم التي شيدت للإله آمون في الكرنك اصبحت مركزاً دينياً للدولة واصبح يرأسها كاهن يأتي في مقدمة كهنة البلاد .

هذا والى جانب عبادة الإله الشمس كانت هناك آلهة متعدد ترمز ايضاً الى الشمس وكان الإله آمون يمثل بهيئة كبش , وكان رع بشكل صقر او اسد او قطة او تمساح او انسان يعلوا رأسه قرص وفوقه ريش وعندما جاء (امنوفس) الى الحكم لم يجد في كل هذه العقائد والاوصاف والصور المتقدمة لإله الشمس ما يتفق وافكاره الدينية والتي كانت تتجه نحو مبدئ التوحيد , وهي عبادة الإله الشمس الواحد , ولهذا جاء (امنوفس) بعقيدة جديدة تأكد على الإله آتون , وهو اسم قديم لإله الشمس , الى انه غير شائع الاستعمال و وقال بأنه الإله الوحيد الذي يرمز اليه قرص الشمس فأنه جرد إله الشمس من كل بقية الأسماء والأوصاف والصور التي كانت تنسب اليه , وقد بلغ من شدة تحمسه لدينه الجديد انه غير اسمه من (امنوفس) الى (اخناتون) فأضطهد كهنة الإله آمون وابعدهم عن مناصبهم واكثر من هذا فقد مسح اسم هذا الإله من المعابد الاثرية في كل البلاد , واخيراً نقل عاصمته من طيبة مركز عبادة الإله آمون واختار له عاصمة جديدة تبعد عن طيبة مسافة (300 ميل شمالاً) اتخذها عاصمة

له ومركزاً لعبادة الإله (آتون) اسمها القديم (اختون) اي(افق الشمس) وتعرف اليوم بتل العمارنة .غير انه اصلاحات اخناتون الدينية لم يكن يصاحبها اعمال وانجازات مهمة في الميدان العسكري . او الاداري , لهذا كان انشغاله وانصرافه في الاصلاحات الدينية عاملا اسهم الى حد كبير في تدهور الامبراطورية المصرية في زمنه و اذ ساءت الاوضاع وانتشر السخط في داخل مصر وأخذت اجزاء مهمة تنسلخ عن مصر في الخارج .

والحقيقة ان خير من يصور لنا حالة الاوضاع السياسية للإمبراطورية المصرية في زمن اخناتون ما يعرف برسائل تل العمارنة , ويتضح من هذه الرسائل بأنه في الوقت الذي كانت الاوضاع تهدد بانسلاخ سوريا وفلسطين , فان الحكومة المركزية في تل العمارنة لم تعمل شيء جدياً لتعزيز قوتها في هذا الجزء من الامبراطورية , ومن ناحية اخرى ان كهنة طيبة اخذوا يشنون علية حرباً عنيفة من الشغب , وتحريض الشعب وتأليبهم عليه , واتهامه بالزندقة والكفر , ومن ناحية ثالثة ان العقيدة الدينية التي جاء بها اخناتون لم تعمر بعد وفاته اطلاقاً ولم يكن لاخناتون ابن يرثه على العرش بعد حكم دام سبعة عشر عاماً , ونرى ان هذا الفرعون فشل في سبيل اعادة مجد الامبراطورية .

جاء بعد اخناتون زوج ابنته الكبرى في عام (1353 ق . م) , وكان مريضاً وحكم مدة قصيرة , اذ تروي النصوص ان اسمة اختفى , واعتلى العرش بعده (توت _ عنخ _ امون) الصهر الثاني للملك اخناتون وزوجته الملكة (نفرتيتي) واستسلم هذا للعقيدة الدينية القديمة وهي عبادة الاله امون , اذ غير اسمة من توت عنخ اتون الى توت عنخ امون , ويظهر ايضا ان هذا الملك قام ببناء معبد نقش على جدرانه صور للاحتفالات التي كانت تجري لحمل تمثال الاله امون , ولم يكن توت عنخ امون ملكاً عظيماً يستحق الشهرة التي يحتلها في عالمنا الحاضر , وكان السبب لشهرته هو عثور المنقبين على قبره عام 1922م في مقبرة وادي الملوك وعلى محتوياته من الاثار النفيسة التي كان قد نذرها للاله

امون وقد ظهر في مومیائه انه مات وهو شاب في سن العشرين وانه قد اعتلى العرش في سن صغير .

استولى على العرش بعد وفاة توت عنخ امون وتسلم السلطة قائد عسكري هو (حارب حب) في عام (1340ق.م)وعندما توفي هذا الملك جاء بعده احد العسكريين ممن كانوا في خدمته يدعى رعمسيس الاول (1303)ق.م , ولم يحكم هذا الملك الاخير الا فترة لا تزيد عن سنة , جاء من بعده الملك سيتي الاول (1303_ 1290)ق.م ' وفي زمنه حدثت اضطرابات في سوريا وفلسطين نتيجة ثورة الكنعانيين هناك ضد الحكم المصري , فقد قام هذا الملك بارسال حملات عسكرية الى هاك لتوطيد النفوذ المصري , واستمر خليفته رعمسيس الثاني (1290 _1224)ق.م من خلال حكمه الطويل بقيادة الحملات العسكرية الى سوريا , ومن اعظم المعارك التي خاضها ضد الحثيين تساعده قوات من المرتزقة في منطقة قادش الواقعة بالقرب من نهر العاصي , والحقيقة ان هذه المعركة لم تكن نصراً لهذا الفرعون ولعل الشهرة التي كسبها متأتية من انه استطاع تخليص جيوشه من اندحار ساحق , وقد وقع (رعمسيس الثاني)معاهدة صلح بينه وبين الحثيين , وتم زواج ابنة الملك الحثي من رعمسيس , بموجب هذه المعاهدة فقد بقية الاجزاء الشمالية من سوريا بيد الحختيين والاجزاء الجنوبية للمصريين ,

وبعد رعمسيس الثاني جاء للحكم سلسلة من الفراعنة يسمون الرعامسة نسبة الى اسمائهم المتشابها ويعد رعمسيس الثالث من اشهر ملوك السلالة العشرين الذي حكم في مدة (1195_1164ق.م), وقد قام هذا الفرعون بحملات حربية , لا سيما في جهة الحدود المصرية الشمالية والغربية , وذلك لدفع الاخطار عن الامبراطورية , ولا سيما القبائل التي نزحت من مواطن استيطانها في جزر بحر ايجة , وكذلك بعض المدن الكنعانية مثل جبيل واوغاريت (راس شمرة), وقد استطاع الملك رعمسيس من رد هذه القبائل , وبهذه المناسبة فقد خلد انتصاره عليها بتشييد معبد كبير في السهل الغربي لمدينة طيبة الذي يعرف الان بمدينة هابود , الذي بقيت

اثاره محافظة على معالمها , ولاسيما جدرانها الخارجية , يصور لنا المعارك الحربية التي خاضها رعمسيس الثالث ضد المهاجمين ز

انتهت حياة رعمسيس الثالث اثر مؤامرة دبرها نساء القصر ودفن في مقبرة الملوك بالقرب من معبره , ثم جاء بعده الاى الحكم سلسلة من الفراعنة حملوا لقب رعمسيس , وكان اخرهم رعمسيس الحادي عشر , ومما يقال عن هؤلاء بالإجمال ان حكمهم كان ضعيفاً ولم يتمتعوا بنفوذ قوي في الخارج ايضاً .

السلالات (21_30)(1090_332ق.م)

ساءت الاحوال في عهد السلالة الحادية والعشرين وتدهورت سياسياً وثقافياً واقتصادياً وكان مقر الدولة في مدينة (طانس)او(طاسن)في الدلتا , والتي كانت مقر للملك (سمينديس) وفي هذا العهد كان يحكم مدينة طيبة (هرى _هور)القوي الذي تمكن من مد نفوذه , وحمل الملك (سمينديس)على قبول عبادة الاله امون , ولدينا من النصوص ما يشير الى ان سمعت مصر قد انهارت وضعفت في الخارج , وتتصف هذه الفترة من تاريخ مصر بوجه عام بانها فترة تعرضت خلالها بلاد الى حكم سلالات اجنبية من اصل ليبي او من الحبشة و ومما يجدر قوله عن السلالة الحادية والعشرين ان الفرعون كان يمارس سلطة ضعيفة جداً في مدينة طاسن في الدلتا , بينما كانت السلطة الفعلية بيد رئيس الكهنة لمعبد امون في العاصمة التقليدية (طيبة), وقد تأسست السلالة التي تلتها وهي السلالة الثانية والعشرين . عندما استطاع احد العسكريين وهو من عائلة ليبية كانت تقيم في مدينة (هيراكيوبولس) من الاستيلاء على زمام الحكم واعلان نفسه فرعوناً على مصر , وكان هذا الملك ششنك الاول (945_924ق.م)وقد استطاع ششنك من قيادة حملة عسكرية الى فلسطين والتدخل في شؤنها الداخلية ,وقد خلد انتصارة على مدونة في معبد الكرنك ,دامت السلالة الثانية والعشرين ما يقارب من القرنين من الزمن .

اما السلالتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين فقد كانتا على درجة كبيرة من الضعف , فساعد سوء الوضع السياسي على قيان حكم الاحباش , وان المعلومات عن هذه السلالة قليلة في المصادر الرسمية القديمة , ولا تترك لنا هذه السلالات اثاراً تقدم لنا طابعاً خاصاً للفن في عهدها .

اما السلالة الخامسة والعشرين والتي عرفت بسلالة كوش وكان امراؤها قد ظهروا في مدينة (نبطا)قرب الشلال الرابع , وهي المنطقة التي سماها المصريون ب(كوش), اذ استطاع امراء هذه المنطقة من الاستيلاء على مصر وعلى العاصمة طيبة , نعد هذه السلالة خاتمة للدولة الحديثة وبداية للعهد المتأخر لبلاد وادي النيل .

أما السلالة السادسة والعشرين فأنها تشمل الفترة من (671_525ق.م) اي من غزو الاشوريين لمصر حتى الاحتلال , وتشمل هذه الفترة تسعة ملوك مصريين اتخذوا من مدينة (سابس)في الدلتا عاصمة لهم .

ومن الامور المهمة في هذه الفترة هو ظهور الاشوريين وبلغهم اوج عظمتهم وقوتهم , وقد كان فراعنة مصر يقفون موقفاً معدياً تجاه القبائل الاشورية , وذلك بمساعدة كل دولة تقوم بمجابهة الاشوريين وفي الاخص تحريض الدويلات السورية على الاشوريين مما حدى بالملك الاشوري (اسرحدون) ان يجهز حملة على مصر في عام (670 ق.م) فاحتلها بأكملها وجعلها مقاطعة اشورية لمدة سبعة سنوات . وقد خلد هذا الملك الاشوري هذا النصر العظيم على مسلة اسماها النصر يظهر فيها الفرعون المصري اسيراً ,الا ان المصريين ثاروا على الاشوريين وقضوا على الحامية الاشورية فقام الملك (أشور بانيبال) بقيادة حملة , فاحتل مصر كلها , وقد ذكر خبر هذه الحملة في اكثر النصوص , الا ان الدولة الاشورية لم يكتب لها النجاح فسقطت في عام (612 ق.م)واصبحت الامبراطورية الكلدانية سيدة الموقف في العالم .

وباحتلال الفرس لمدينة بابل في عام (539ق.م)وتكوين ما يسمى بالإمبراطورية الخمينية التي تمثل حكم الاستعمار القديم في المنطقة , دخلت مصر تحت الحكم الاخميني في عام (528ق.م)واصبحت مصر

تابعة لحكم الامبراطورية الاخمينية و واستمر حكم الفرس لمصر حتى عام (332 ق.م)وعندما احتلها الاسكندر المقدوني اصبحت تحت حكم البطالسة في عم (223ق.م) بعد انقسام امبراطورية الاسكندر واستمر حكمهم فيها الى عام(30 ق.م), اذ احتلها الملك الروماني (اوغسطس) وبذلك بدأ ما يعرف بالعهد الروماني في مصر واستمر حكمهم فيها الى سنة (639 م)اذ تم تحرير مصر على يد القائد العربي عمرو بن العاص في (21 هـ) في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض).

الفصل السادس

بعض الاوجه الحضارية في حضارة وادي النيل

1_ الدولة والمجتمع :

ان تكوين الدولة المصرية تم بقيام الملكية فيها ولا نعرف بالضبط متى كان قيام الملكية في بلاد وادي النيل الا اننا نستطيع ان نتبين عهدها السحيق من الالقاب والرموز التي كان يحملها الملك منذ اقدم الأزمان , ثم من الالبسة والمظهر . وقد كانت هذه الالقاب تزداد بتغير وتقدم الزمن في عهد الدولة المتوسطة . كان للملك خمسة القاب فكان يلقب بأسم الإله (هورس)وهذا يعني ان مركز الملك في المجتمع المصري , واصبح معادلاً لإله الدلتا (هورس) الإله الرئيسي للمدن عند تكامل توحيدها في ازمان ما قبل التاريخ, واللقب الثاني السيدتان وهما الإشارتان الهيروغليفيتان التان تظهران مع اسم الملك مصورتين برسم الإلهة العقرب والإلهة الثعبان , وهتان الإلهتان تشيران الى العهد الذي انقسمت فيه الدولة المصرية بعد توحدها وذلك في الفترة الواقعة بين زمن التوحيد في عصر ما قبل التاريخ , والدور الذي تم فيه التوحيد النهائي , فقد كانت كل واحدة منهما الع رسمي لأحدى الدولتين , ثم اللقب الثالث (هورس من ذهب) ويظهر لأول مرة في عهد السلالة الرابعة ' ثم اللقب الرابع (ملك مصر العليا والسفلى)ويشير الى الوحدة بين جزئي البلاد الذين

انفصلا عن بعضهما, ثم اللقب الخامس (ابن الإله الشمس رع) ويشير الى التطور الذي طرئ في اواخر السلالة الرابعة .

اما من ناحية المظهر واللباس فأن ذيل الحيوان(سوط) الذي يحمله الملك بيده يشير الى الزمن , كانت تسوده الحروب وهو الفترة المتأخرة لعصر ما قبل التاريخ, ولاسيما في ليبيا المجاورة لبلاد النيل .

كما نحد ذلك واضحاً في بجداية قائمة الملوك المكتوبة على جدران معبد الملك سيتوس الأول في مدينة ابيدوس حوالي (1300ق.م), اذ يظهر الملك سيتوس يحمل بيده اليسرى سوطاً بهيئة ذيل الحيوان وامامه ولده ولي العهد رعمسيس يحمل بيده لفيفتين من البردي , وتتدلى من شعره ضفيرتان رمزاً لولاية العهد, كذلك من مظهر الملك الثعبان (اوراس) القائم معقوفاً فوق جبهة الملك وهو تأثير ليبي , ثم الباس القصير المعروف ب(الخيتون) وما يتوسطه من نوع خاص من طراز الخياطة يميزه عن الإله العادي الأخرى كالحزام المتدلي مثلاً .

وتشير الحية الى ازمان ما قبل التاريخ , ثم هناك ظواهر خاصة باللباس تميز مصر العليا عن ملك مصر السفلى , وتظهر بوضوح في التيجان , فملك مصر العليا يلبس تاجاً ابيضاً يشبه (العرقجين) مدور الشكل , اما ملك مصر السفلى فيلبس تاجاً مخروطي الشكل له نهاية معقوفة بشكل حلزوني وقد لبس الملك كلا التاجين اثر توحيد كلا القسمين وحكمه لهما كدوله واحدة , ولك من هذه الالقاب معاني دينية ذات علاقة كبيرة بسلطة الملك ومكانته في المجتمع المصري القديم . فاللقب الاول والثالث تنعت الملك بالإله (هورس) وهذا يعني ان الملك المقيم في الأرض وكذلك معناه ان الملك هو ابن الإله الشمس رع .

وهناك اسطورة وان كانت من السلالة الثامنة عشر , ولكنها ترجع الى ازمان قديمة تقل ان الملك تكون من اتصال الإله بالملكة الذي تمثل لها

بهيئة زوجها ووطئها , وبذلك فأن الملكية تكوين الاهي واجبة التقديس والاحترام والطاعة , ولكننا مع ذلك كله لا نعرف مدى تغلغل تقديس الملكية في معتقدات الشعب المصري وتقبلهم لها في جميع مراحلهم التاريخية , فقد اصابتها رجاة رعدية اكتنفها كثير من الغموض فالمعلومات التاريخية تشير مثلا الى ان الملك حتبشسوت لم تقبل على عرش وادي النيل بسهوله , بل لقيت مقاومة شديدة في الاحتفاظ بلقب (ابن الشمس) , على الرغم من انها كانت الوريثة الشرعية للعرش , والسبب في هذه المقاومة يرجع الى انها كانت امراة وعدم رغبة الشعب المصري في ان تحكمه امراة . من الجدير بالذكر ان الملكة حتبشسوت كانت تصور نفسها دائما بهيئة رجل ولم يستغل فراعنة مصر اعتقاد الشعب المصري فيهم انهم الهة ليفرضوا عليهم عباداتهم والصلاة لهم في المعابد في حياتهم , وتدلنا المعلومات التاريخية ان اول مصري فرض عبادته وهو على قيد الحياة هو الملك امنوفس الثالث فقد امره النوبيين ان يعبدوه في معابدهم , ويقدموا اليه القرابين والصلاة له وطلب الرحمة منه .

وبالنظر الى فكرة التقديس هذه التي يحملها الشعب المصري نحو الملكية واعتقادهم انها من جملة وظائف الاله وواجباتها فانه لا يمكن تحديدها بزمن وتاريخ .

فالملكية في اعتقاد قدماء المصريين نشأت مع وجود الاله وقبل وجودهم على الارض , ولكن الحقائق التاريخية تثبت ان الملكية فصل من فصول التاريخ لها زمن معين وبداية ونهاية , ولا غرو ان المعلومات عن نشأت الملكية وبدايتها قليلة , ولا سيما في العصور التي كانت فيها ملكيات كثيرة وصغيرة في بلاد وادي النيل . ولم تتضح الملكية في بلاد وادي النيل الا في زمن السلالتين الاولى والثانية عندما تمت وحدة بلاد الوادي , والمصادر لهذا الدور يمكن استخلاصها من مشاهد الصور المنقوشة على جدران المعابد والقبور في ابيدوس التي تصور الحفلات والمراسيم التي يترأسها الملك بنفسه كالأعياد الحكومية التي انقلبت فيما بعد الى اعياد تعرف بأعياد الملك مثل اعياد الاحتفالات بتوحيد مصر العليا ,

ومصر السفلى , والسير والطواف حول سور المعبد وعيد الثلاثين سنة ثم الاعياد الدينية كالعيد الذي يحتفل فيه بتقديس الاله (هورس) وخروج العجل (ابيس)من معبده وسيره بمهرجان كبير بين جموع الناس وعيد الاله سكر ثم عيد الفلاحين وهو عيد حرث الارض .

بالإضافة الى هذه المشاهد المصورة من الاحتفالات والاعياد التي تقدم لنا فكرة واضحة عن نشأت الملكية وكيانها في بلاد وادي النيل , هناك المباني الملكية كالقصور والمعابد التي يقوم بتشييدها كل ملك جديد يأتي الى الحكم.

وقد اتضحت فكرة الملكية في السلالة الرابعة واصبح الملك المؤله اقوى شخص في البلاد ولا ينافسه في سلطته احد , كما صار جميع الموظفين حتى كبارهم تحت امرته يوزعهم على الوظائف في جميع انحاء القطر كيفما يشاء , وكان اعلى منصب في الدولة منصب الوزير يعين من احد أمراء البيت المالك . وتتمثل المركزية للدولة المصرية القديمة وبالأخص في عهد السلالة الرابعة في بناء الاهرام الذي يشترك في تشييده جميع طبقات الشعب والبنايات المحيطة به . ففي اسفل الاهرامات عملت المقابر لحاشيت الملك وكبار الموظفين في الدول , اذ يمنح الملك كلا منهم قبرا لكي يكونوا معه بعد الموت ايضا , كما هي الحال في المقبرة الواقعة في الجهة الغربية من هرم الملك خوفو من السلالة الرابعة في الجيزة .

وقد صادفت الملكية في نهاية السلالة الرابعة منافسة في سلطتها من طبقتي الاشراف والكهنة التين اخذت شوكتهما تزداد فاصبحت الوظائف الكبيرة المهمة وراثية , واخذت طبقة النبلاء تستحوذ على مساحات كبيرة من الارض والاقطاعات فزاد نفوذها وقل ارتباطها بسلطة الملك وأل الامر الى ان يناؤوا الملك السلطة في البلاد , ولم يكترثوا بان يدفنوا في العاصمة قرب المكان المخصص لدفن الملك وانما دفنوا في مدنهم التي يعيشون فيها .

اما طبقة الكهنة فلم تكن اقل من طبقة النبلاء مناوأة لنفوذ الملك ولا سيما كهنة الاله الشمس اتون رع اله مدينة هيلوبولس فقد عرفت هذه الطبقة كيف تحتفظ بنفوذها بعد ان اصبحه الاله بتاح الاله محلي الاهاً رسمياً للدولة بدل الاله القديم اله الشمس , وذلك اثر انتقال العاصمة مفيس , وقد تمكنت هذه الطبقة من الاستحواذ على السلطة في نهاية السلالة الرابعة , ويؤكد معظم المؤرخين بانه كان لهذه الطبقة اثر كبير في تقويض السلالة الرابعة وقيام السلالة الخامسة , وهذا ما تبين بوضوح من اللقب الجديد (ابن رع) الذي يرمز دائما الى تاليه الملك ولكن ليس بالدرجة التي كانت عليها لحد الان وهي مشابهة بالاله حورس وتحتومس , وهذا اللقب الجديد فقد اصبح على الملك ان يشيد معبداً للاله الشمس عند كل هرم يقوم ببنائه , ونستدل على قوة نفوذ الكهنة في هذه السلالة من الاوامر الملكية التي يصدرها الملك لبناء كل معبد جديد والتي تتضمن موافقة الكهنة بالدرجة الاولى الامر الذي ادى الى تدخل الكهنة والى ان تفقد الملكية جميع ما كان لديها من نفوذ وسلطان , ثم الى انهيار كيان المملكة في نهاية حكم السلالة السادسة الموحدة وقيام عدة سلالات ملكية في البلاد خلال القرون المتعاقبة , اذ كان الوضع السياسي في البلاد عند قيام السلالة الثانية عشر يختلف تماماً عما كان في عهد الدولة القديمة , فالملك لم يكن له نفوذ والقوة غير الاسم فقط , وكانت الحكومة المحلية قد اصبحت خلال هذه الفترة من القوة بمكان لدرجة ان الملك لم يعد الا رمزاً في البلاد , وكان يعد الملك الاول بين بقية الملوك العديدين , وقد رافق هذا الانقسام السياسي الهائل في البلاد تدهور الحالة الاجتماعية وسوء الاوضاع الاقتصادية وانحطاط سمعة مصر في الخارج فكان لابد من التغلب على هذه الاوضاع السيئة والقضاء على الحكومات المحلية واعادة هيبة الحكم والسلطان الى الملك والى ما كانت علية في سابق العهد , وقد تم ذلك بالفعل على يد سيسوسترس الثالث وهو الملك الخامس من السلالة الثانية عشر والذي وحد البلاد واعادة قوة الملكة الى ما كانت علية في السابق ولكن بفارق واحد هو ان الملكية لم تعد تسيطر على الناس حسب الاعتقاد القديم بان كيان البلاد وحياة الشعب ورفاهيته منوطة بحياة الملكية وبقائها إنما بقاء الملكية اصبح منوط بسيادة البلاد وتقدمها , كذلك لم يعد الملك

مصدر السلطات ورمز القوة في البلاد بل الحكومة التي صار عليها ان تهتم بتأمين رفاهية الشعب والعمل على تقوية البلاد والمحافظة على سمعتها ومكانتها الرفيعة في الخارج .

وبعد أجلاء الهكسوس من بلاد النيل عادت الملكية الى قوتها السابقة في عهد الدولة القديمة فأصبحت سلطتها مركزية واخذت على عاتقها مهمة توسيع سلطانها عبر الحدود المصرية , ولكن مفهوم الملكية لدى الملوك والشعب تغير كثيراً عما كان علية في الازمان السابقة فقد أخذت تضمحل النظرة الالهية في الملكية تحت تأثير الحقيقة الواقعية وتتوضح اكثر بأنها سلطة بشرية اكثر مما هي الهية , وان الملك وان كان يتمتع بقدسية الاهية الا النه من سلالة بشرية وقد ظهره بوادر هذا الاعتقاد في زمن تحتومس الثالث وامنوفس الثالث وامنوفس الرابع , ومن الفوارق البارزة في الملكية في الدولة الحديثة , والدولة الحديثة هي المكانة التي احتلتها الناحية الدينية الى جانب الملكية في حكم البلاد , فمنذ تأسيس الدولة الحديثة صار الكهنة يهيمنون على الناحية الاقتصادية , بالإضافة الى الناحية الدينية فازداد بذلك الصراع بين الكهنة والملك الذي انتهى في الدولة الحديثة بانتصارهم عليها , فارتقاء تحتومس الثالث العرش جرى باختيار الاله امون وتكليفه له بهذا المنصب بالطريقة التي مر ذكرها عند الكلام على هذا الملك , وعي طريقة الاستقسام التي اجراها الكهنة في معبد الاله امون بمدينة طيبة , ولما بلغ تحتومس الثالث اوج عظمته وانتصاراته اخذت الغنائم والهدايا ترد الى معبد الاله امون كأنما الملك تحتومس الثالث كان يحارب باسمه , فقد ذكر الملك نفسه في بلاغاته الحربية التي دونها على جدران المعبد الذي بناه الاله امون في الكرنك مقدار الغنائم الحربية والاموال التي قدمها الاله امون اله الدولة الرسمي وصارت ميزانية الاله امون اضخم من ميزانية الدولة التي اخذت تنفق على المشاريع والابنية .

كذلك فان الصراع كان قائماً بين الملك امنوفس الرابع (اخناتون) وبين الاله امون وكان في الواقع صراع بين الملك وبين الكهنة وكان لا يهدف الى انتزاع السلطة الدينية من يدهم فقط , وانما انتزاع النفوذ الاقتصادي

والاستيلاء على الثروة الطائلة التي جمعها هؤلاء الكهنة باستغلالهم خيرات الشعب وثروة البلاد باسم الاله امون , والواقع ان كهنة الاله امون وحدهم كانوا يملكون من الثروة والاراضي بمقدار ما تملكه بقية المعابد في البلاد , فقط جاء في لفيفة البردي المعروفة بلفيفة هريس من زمن رعمسيس الثالث احصاء بالممتلكات والعقارات التي يملكها المعبد بان ثلث الاراضي الخصبة في بلاد وادي النيل كانت ملكاً للإلهة المصرية , وان كل مصري ملك للمعبد ويعمل طول حياته في خدمة معبد مقاطعته , ويذكر هذه الوثيقة التاريخية بان رعمسيس الثالث خصص اربعة اخماس الهداية والمنح الخيرية الى الاله امون في معبد طيبة وهذا دليل كاف على الثروة الطائلة التي كانت في حوزة كهنة الاله امون والتي تكون قوة خطيرة بيد الكهنة المناوأة الملك وازاحته عن العرش متى ارادوا ففي زمن رعمسيس الحادي عشر استفحل امر الكهنة وبالأخص كهنة الاله امون , اذ وضع رئيس كهنتها هريس هور على رأسه التاج واسس اول حكومة دينية ادى في الواقع الى القضاء على الاستقلال السياسي للبلاد , ففي الوقت الذي كان فيه الكاهن الاعلى يرأس حكومة الاله في طيبة قامت في الدلتا حكومات عديدة يحكمها الامراء ويشركون معهم كهنة الاله امون وذلك منذ عهد حارب حيب ,

ولم يقتصر نفوذ الكهنة في طيبة وتدخلهم في الشؤون السياسية الداخلية على الحكومة الوطنية فحسب , بل تعدى ذلك الى حكومات الاستعمار الاجنبي اذ كانت السلالات الاجنبية الحاكمة خاضعه كل الخضوع لنفوذ هؤلاء الكهنة وتدخلاتهم كذلك , كان نفوذ كهنة طيبة في عهد السلالة السادسة والعشرين التي حاولت عبثاً التخلص من تدخلاتهم وسيطرتهم , وكما ساهمت الملكية مساهمة كبيرة في تكوين الحضارة في وادي النيل ,وكذلك ساهمت طبقات المجتمع المصري القديم في تقدم ارض الفراعنة من النواحي الثقافية والعمرانية والاجتماعية وفي مقدمة هذه الطبقات الاشراف او النبلاء والكهنة , وقد برزت هاتان الطبقتان وظهر اثرهما بوضوح في نهاية الدولة القديمة وبدأت المعركة من اجل النفوذ ظهرت الملكية , ولا سيما في زمن السلالة الملكية السادسة , اذ اخذت الدولة تتحول من حكومة موظفين مرتبطين بالعاصمة وبالملك غالى حكومات

وولايات ومقاطعات كثيرة اشبه شيء بحكومات اللزمة او بالاحرى ولايات الزمة في العهد العثماني , اذ كان الملك يقطع المقاطعة لمن يشاء من النبلاء واقربائه , ويوكل اليه امر اختيار الموظفين وادارة الولاية وذلك لقاء كمية معينة من المال تدفع له سنوياً او مقابل اعادة النظام والهدوء فيها , وكانت هذه الحكومات المحلية كثيراً ما توضع في المزاد بنفس الطريقة التي كان الباب العالي العثماني يتبعها في اسناد الولايات , وقد تجزأت البلاد في نهاية السلالة السادسة الى عدد من الامارات شبة المستقلة ولكنها وراثية , ولم تعد تستعمل طريقة التدوين بالنسبة الى سنين حكم الملك بل بالنسبة لسني حكمهم , وصار هؤلاء الامراء ملوكاً ولكنهم صغاراً في مقاطعاتهم الصغيرة لديهم جيشهم وجنودهم المرتزقة , وكان اغلبهم من النوبيين وقبائل البيجو كذلك كانوا يحتلون منصب الكاهن الاعلى لإلهة دويلاتهم ويشرفون على ادارة هذه الالهة وكانوا يستحوذون على ثروات طائلة , وكثيراً ما تكون اراضي المقاطعة وما فيها من حيوانات ملكاً لهم وسكانها يشتغلون لهم عبيداً , فقد ذكرت احدى الوثائق العائدة الى امير مقاطعة سيوط (اسيوط) وكان اسمه زفاي حابي , عاش في زمن السلالة الثانية عشر , انه كان يجمع الاموال الضخمة من مقاطعته , وان سكانها كانوا يدفعون له الضرائب الكثيرة على انفسهم (ضريبة الرأس)وحيواناتهم يعد المقاطعة وما فيها ملكاً لهذا الملك , فله مثلاً ان يطلب بفخذ من كل ثور يذبح ضحية في المقابر على ارواح الموتى , وان تقدم له نسبة معينة من جميع الاغنام ولأبقار والحيوانات الاخرى بصفته الكاهن الاعلى للمعبد .

ولهذا الامير او الملك ممتلكات خاصة به , بالإضافة ما يأخذه من الناس كفريضة يجب اداؤها اليه , والى ما يرده من املاك بصفته الكاهن الاعلى لأله المقاطعة , وتعرف هذه الممتلكات الخاصة بأسم الاموال ابين اي اموال اله الملك .

وكثيراً ما تتسع ممتلكات امراء هذه المقاطعات فتقوى شوكتهم ويشمل سلطانهم مناطق اوسع تضاف الى مقاطعته الصغيرة فيصبح شخصية مهمة في تاريخ البلاد منذ قيام هؤلاء الامراء بمساعدة امير ما من بينهم

او شخص ما من العائلة المالكة ليبسط نفوذه على بلاد وادي النيل وتوحيدها تحت عرش واحد , اذا ما تم ما اراد اخذ يكافئ هؤلاء الامراء الاقطاعيين الذين ساندوه بمنهم مقاطعات جديدة من تلك التي سليها من الاعداء .

فمن ذلك ما حدث لأمراء مقاطعة طيبة الذين اسسوا الدولة المتوسطة , فقد وعدوا عدداً من الامراء الذين تحالفوا معهم لمحاربة امراء مدينة هيركليوبولس مقاطعات جديدة ووفوا معهدهم , وكذلك فعل مؤسسو السلالة الثانية عشر , عندما توفقوا في تقويض السلالة الملكية الحادية عشر . وتشير التماثيل العديدة لأمراء هذا الدور ومقابرهم وابنيتهم ومعابدهم الى اعظم فترة ازدهار لقيتها هذه الامرات في تاريخ وادي النيل , كانت في زمن السلالة الثانية عشر , كذلك تقوى سلطانهم لدرجة انهم اصبحوا خطراً مهددإ وان هذه السلالة التي كانت تسعى إلى تأسيس ملكية مستقلة في جميع البلاد وان لابد من القضاء عليهم أو الحد من سلطانهم فأخلقت طبقة ثالثة في المجتمع هي الطبقة العامة , أو طبقة المواطنين بما فيهم طبقة اصحاب الملكية الصغيرة الدخل المحدود , واخذت تعمل على تقويتها في عواصم المقاطعات والمدن اذ اصبحت هذه الطبقة قوية لدرجة انها حدت من سلطان امراء المقاطعات وطبقة النبلاء والاشراف التي صارت مع الزمن تحت رحمتها وتتملق رضاها كما يتبين بوضوح من الكتابات المنقوشة على قبور هؤلاء الامراء , وبذلك استطاعت الملكية في بلاد وادي النيل من مكافحة هذه الطبقة واخضاعها عن طريق الطبقة العامة التي خلفتها وقوتها , وتمكنت بواسطتها من تأسيس دولة وطنية حققت وحدة بلاد النيل تحت ظل ملكية مستقلة في نهاية السلالة الثانية عشر ,وأدت الى مجيء السلالة الثالثة عشر.

ان اهم مصدر تاريخي لدينا عن حالة هذه الامارة في زمن السلالة الثانية عشر هي الكتابات الكثيرة التي دونها الامير الاقطاعي خم حوتب والتي عثر عليها في بني حسن وتتحدث عن الاحداث الاجتماعية والسياسية التي مرت على البلاد خلال قرن كامل , ولاسيما تدخل الملك في الاطيان

والممتلكات التي بحوزة هذا الامير والحد من ملكيته وتوزيعها على الفلاحين , كذلك تتحدث هذه الكتابات عن النفوذ السياسي الذي كانت تتمتع به هذه الامارات وتدخلهم القوي في شؤون الدولة ومزاحمتهم لسلطة الملك .

وقد فقدت شوكة الطبقة العامة وبدأت بدورها تناوئ الملكية واصبحت خطراً مهدداً لكيانها , فمهدت الطريق لمجيء السلالة الثالثة عشرة وبالتالي لحكم الهكسوس الذين اغتنموا فرصة قيام الثورات الداخلية والاضطرابات التي سادت البلاد وضعضعت كيان الدولة وفرقت بين اجزاء الوطن .

وفي بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد عندما بدأ امراء طيبة في تأسيس الامبراطورية المصرية , كانت اوضاع الطبقة القديمة في المجتمع المصري قد تغير واتخذت الدولة سبيلاً في نظام الحياة يستند على اسس جديدة من جملتها نظام الحكم الملكي الذي فرض على طبقة النبلاء , وفسح المجال لظهور طبقة مترفة جديدة هي طبقة الموظفين , وطبقة اخرى منظمة مطيعة هي طبقة الجيش , وأزداد بالطبع نفوذ الكهنة , اما الطبقة العامة فلم تعد تلعب دوراً مهماً اختفت من مسرح السياسة في البلاد واخذت تظهر مكانها طبقة جدية هي طبقة الدهماء (طبقة البروليتاريا) , والتي برزت بوضوح في اواخر الدولة الحديثة وينتمي اليها فئة الفقراء والعمال , وهاتان الطبقتان اي طبقة الفقراء والعمال أو طبقة الدهماء تقومان بخدمة الدولة والالهة , ويكون المشرفون عليهم من بينهم , وهناك اعداد كبيرة من لفائف البردي العائدة الى اواخر الدولة الحديثة تصور البؤس والفاقة والغلاء الفاحش التي كانت تئن تحتها طبقة الدهماء هذه , فقد قلت الارزاق وساء الوضع الاقتصادي في البلاد بسبب هجوم القبائل الغربية المتمردة ونهبها الامتعة والحاصلان واحتكار الهنة الاموال والاطعمة التي كانت ترد المعابد فارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً خيالياً وعمت المجاعة في البلاد , وذلك في اواسط عهد السلالة العشرين , فتوقفت عمليات دفع اجور العمال التي كانت من مواد الاطعمة كالسمك والبقول والحبوب والبيرة والخشب والوقود , فهاج العمال وماجوا

واعلنوا الاضراب فاضرب الموظفون الذين كانوا السبب في هذه الفوضى بما كانوا يتصفون به من التفسخ المتفشي بينهم الى دفع اجور هؤلاء العمال , ثم تستطرد لفائف البردي في وصف اخلاق هذه الطبقة فتقول انها منحطة خلقياً , وتقوم بأعمال السرقة والاغتصاب وقطع الطريق وتأتي الفحشاء والمنكر .

وقد قدمت لنا لفائف البردي ادق المعلومات واقدمها عن قوائم بأسماء العبيد ورجال السخرة وآبائهم في السلطات لهم بالاشتغال وبأسماء المدن التي نشأوا فيها واختصاص كل منهم . والواقع ان هذه المصادر التاريخية التي وجدها العلماء في التدوينات على لفائف البردي بمعلومات عن حياة العائلة وتكوينها , فقد كان تعدد الزوجات معروفاً في بلاد وادي النيل لا يخضع لقانون معين , وبالطبع فان تعدد الزوجات لا يعتمد بالدرجة الاولى على وضع الرجل المالي , ولذلك فأننا نجده منتشراً عند الطبقات الثرية , وكثيراً ما كان الملك يتزوج بضع عشرة من النساء كما فعل رعمسيس الثاني , واكن تعدد الزوجات كان يؤدي الى نشوب الخلافات والفوضى في العائلة وحبك الدسائس والمؤامرات , ولا سيما ضد الملك الذي كان يذهب في اغلب الاحيان ضحية دسائس زوجاته الكثيرة , ومع ان تعدد الزوجات كان شائعاً في المجتمع المصري القديم إلا أنه كان هناك زوجة واحدة من بين هذه الزوجات الكثيرات تعد سيدة البيت والوالدة الشرعية , وكان زواج الاخت امراً محبباً وقد انبعث عن هذه العادة اطلاق كلمة اخت على الزوجة والحبيبة , ويتم الزواج بعقد خطي باتفاق الطرفين , فقد ودت عقود زواج كثيرة من جميع المراحل التاريخية تصف مراسيم الزواج والافراح التي تقام في ليلة الزفاف , كما تشير الى تحديد العمر , اذ كان اصغر حد لسن الزواج للفتاة محدداً بسن الثاني عشرة وللفتى بسن الثامنة عشرة .

2- الادارة

تعد الادارة عاملاً مهماً في تكوين المجتمع المصري القديم كنتيجة لنظام الحكم (الملكية) والطبقات والعائلة , وقد كان الجهاز الاداري في زمن البطالسة منظماً تنظيماً دقيقاً ووصل الى درجة عالية من الرقي والتقدم بالنسبة لذلك العصر تطور من خلالها المجتمع المصري من امارات صغيرة مستقلة ذات حكومة خاصة واله خاص الى نظام الولايات او المتصرفيات التي احتفظت باسمائها القديمة , ويرجع الفضل في تقسيم بلاد وادي النيل بقسميها مصر العليا ومصر السفلى والى نظام المتصرفيات الى الملك مينس (منا) المؤسس الاول للدولة المصرية الذي وحد البلاد وقلل من نفوذ هذه الامارات وحولها الى متصرفيات وجعلها تتبع المركز الرئيس الاعلى في البلاد ومصدر السلطات والتشريعات , وكان في زمن السلالة الاولى شخصية حكيمة تساعد الملك في تنفيذ سلطاته واوامره تعرف بالوزير وتخضع له إدارة جميع المتصرفيات , وكان يشرف على القضاء والحكم بصفته قاضي القضاة , كذلك كان تحت امرته مجلس المستشارين العشرة الذين يشرفون بأمر الملك على ادارة الجنوب (متصرفيات مصر العليا) , وكانت مهمتهم تنحصر في تنفيذ اوامر الملك التي تأتيهم عن طريق الوزير في ادارة الاعمال العامة كشق الترع وفتح الطرق وانشاء المعابد والجسور وغيرها , ثم جمع الضرائب وتعبئة الجيوش وقيادتها لإخماد الفتن والثورات التي تنشب في مقاطعاتهم , وكذلك الاشراف على مناطق الصحراء وتأمين سير القوافل فيها والقضاء على اعمال الغزو , ثم إدارة شؤون النيل كمراقبة فيضاناته وتأمين النقل فيه والحيلولة دون دخول العبيد الى بلاد وادي النيل , وظهر في زمن الدولة القديمة الى جانب

الوزير شخصية قوية هي رئيس مجلس المستشارين العشرة الذي صار يزاحم الوزير في سلطانه ونفوذه وفي كثير من الاحيان الملك نفسه .

ويعتقد المؤرخون ان هذا النوع من النظام الاداري كان مقتصراً على مصر العليا وحدها لوجود طبقة النبلاء فيها التي انبعثت منها السلالة الملكية الاولى بخلاف مصر السفلى التي كانت تعد حتى بعد توحيدها على يد (منا)بلاداً محتلة .

ولكن الحقيقة هي ان وجود العاصمة فيها اغنى عن قيام المستشارين الحاكم في متصرفيات الدلتا اسوة بمصر العليا .

وقد نجم عن الادارة المركزية قيام ادارة مركزية خاصة لأمور المال يشرف عليها الوزير كإدارة مخازن الحبوب والهيمنة على شؤون الزراعة والاهتمام بإدارة الحقول وجمع الحاصلات لتامين معيشة السكان وتجنب المجاعة .

بقيت هذه التنظيمات الادارية على حالها في زمن الدولة المتوسطة ولكن طرأ عليها بعض التحوير في زمن الدولة الحديثة , اذ قسمت البلاد الى قسمين جنوبي وشمالي بدلاص من التقسيم القديم – مصر العليا ومصر السفلى – واصبح الجنوب يشمل المنطقة الواقعة بين جزيرة الفيلة (الالفنتين وسيوط) (اسيوط) في الشمال . اما الشمال فصار يشمل جميع المناطق الواقعة شمال اسيوط وعين لكل من هذين القسمين وزير احدهما في مدينة طيبة , والاخر في مدينة هليوبولس , وبقيت ادارة المتصرفيات كما كانت علية في السابق تحت اشراف موظف يعينه الملك , واعطيت لإدارة مخازن الحبوب اهمية اكثر من السابق لسعة انتشارها من بلاد النوبة الى بلاد الميتانيين وذلك للمحافظة على التوازن الاقتصادي في البلاد , كذلك تشعبت اعمال بيت المال واصبح له عدد كبير من الموظفين يخضعون جميعهم للوزير مباشرة ويتلقون الاوامر والتعليمات , ولدينا

مصدران مهمان عن نظام الادارة واعمال بيت المال من عهد الدولة الحديثة ولاسيما في زمن تحتومس الثالث حين وجدت نصوص مدونة على قبر وزيره رشمي رع توضح جميعها الاعمال الادارية التي قام بها وتوزيعه للاعمال واختياره للموظفين الاكفاء والاوامر التي كان يصدرها اليهم من وقت الى اخر .

كما وجدت كذلك الاف الرسائل التي كتبت بخط عدد كبير من الكتبة والموظفين تتناول جميعها الشؤون المالية في البلاد والاحصاءات الدقيقة عن دخل الدولة , وكان لدى الدولة المصرية القديمة ديوان خاص بحفظ الرسائل والوثائق التي تكتب بنسختين تحفظ كل منهما في عاصمة الشمال وعاصمة الجنوب , ويشرف على هذا الديوان موظف يعرف بالأمين الاعلى لخزنة الكتب والرسائل والوثائق وله عدد من الكتاب يساعدونه في حفظ هذه المدونات وتصنيفها وتسجيلها .

3-الدين والمعتقد :

الشرك وعبادة الطبيعة والاعتقاد بوجود الارواح في الاشياء هي امور بارزة في الديانة المصرية القديمة , ولهذا تعددت المعبودات عندهم وفي بعض الاحيان كانت الافكار المعنوية تجسد وتقدس , حتى الاشخاص كانوا في بعض الحالات موضع العبادة والتقديس والتأليه , وفي الواقع لا توجد في مصر القديمة حدود للتجسيد والتأليه فالأحجار والينابيع والجبال والنباتات والمدن والمخلوقات الحية والافكار المعنوية والمظاهر الطبيعية الاخرى كالسماء والارض والشمس والقمر والبحار والرياح كانت تعبد .

ان اهم المعبودات المصرية القديمة ارتبطت بالظواهر الطبيعية كالمعبودة توت (السماء) والمعبود ارسيرس _ الخصب والمعبود معاث (الحقيقة) والمعبود نون(المياه الازلية) والمعبود رع وخفرع نفنوت (الرطوبة) ,

واخذت المعبودات تسكن الرجال والنساء والمخلوقات الحية او المواد الجامدة وفي بعض الاحيان تأخذ صفات مركزية كالرجل الذي له رأس نسر , والمأة التي لها رأس لبوة , وفي جميع الاحوال ومهما كانت طبيعة المعبودات المجسدة فهي تتصف صفات بشرية في الناحية الروحية والجسمية , ولكنها اعلى سمى من البشر وبيدها القدرة ومصير الكون والانسان , ولم تكن المعبودات جميعها متساوية في العظمة والاهمية فبعضها اهم واعظم من الاخر .

ومصدر هذه العظمة والاهمية قوة ونفوذ الجماعة التي تعبدها وكل جماعة اعتقدت ان معبودها هو الخالد , ففي عين شمس كان المعبود رع وفي طيبة كان امون .

من المحتمل ان تكون عبادة اوسيرس اقدم العبادات التي ظهرت في مصر اوائل العصور التاريخية , وبرزت اهمية هذه العبادة اثر الصراع الذي نشأ بينه وبين اخيه سيث , وانتهى الصراع بمقتل اوسيرس فحزنت علية زوجته (اخته) ايزس واخذت تبحث عنه فوجدت جثمانه في ابيدوس فرفرفت علية بجناحيها فعاد الى الحياة بطرق سحرية ولهذا كان الناس يزورون معبد ابيدوس للمشاركة في الاحتفالات التي تمثل فيها مأساة اوسيرس في موته وقيامه وعودته .

وظهرت من هذه الاسطورة الاعتقاد بان الفرعون المتوفى يتجسد بالمعبود اوسيرس , وان الفرعون الجديد هو ابن حورس من أخته ايزس وان الفرعون حورس يرتقي العرش , الى جانب هذه المعبودات عبد المصريون الهه مختلفة , الا ان التطورات الاخيرة في عهد الامبراطورية والتبدل الواضح في الديانة المصرية القديمة وسيادة المعبود (اتون) وهو تجسيد لقرص الشمس , اصبح المعبود الرئيس للدولة في عهد اخناتون , وقد مثل بهيئة قرص الشمس الذي تبرز منه اشعته وتنتهي بأيدي بشرية , ومن المعروفة ان اخناتون (امنوفس الرابع) قد قطع علاقته بعبادة الاله امون رع في طيبة واقام عبادة جديدة على اساس فكرة قديمة في عاصمة جديدة سماها اخت اتون وهي تل العمارنة . والى جانب المعبودات من الذكور التي مر ذكرها وجدت معبودات من

الاناث من بينها الاله ايزس وقد عدت هذه الالهة رمز الامومة , كما عبد الاله حتحور إله السماء وكذلك الاله (موت) زوجة الاله (امون) .

وعندما اصبحت مصر امبراطورية واسعة المساحة , اقامة علاقات مع الاقطار الاخرى اعترفت في بعض الاحيان بديانة الاقوام في تلك الاقطار , واكثر الديانات في هذا المجال عبادة الاله (بعل) المعبود العربي في سوريا والذي يمثل اله المطر والحرب , وكذلك الالهة عشتار , بالإضافة الى ذلك عبد المصريون عدداً من الحيوانات مثل الثور والكبش والعجل والنسر والسنونو والتمساح .

اما رجال الدين فلهم اثر بارز في الحياة المصرية القديمة وبدأت الكهانة بداية بسيطة , اشترك فيها معظم الناس من ذوي المكانة في المجتمع وبمرور الايام كثرت الاعمال والمراسيم الدينية , واصبحت الامور الدينية ذات طقوس رهيبة ومعقدة , فظهرت طبقة الكهنة المحترفين التي زاد نفوذهم منذ عهد المملكة الوسطى , ولدينا من الاشارات منذ عهد الاهرام الى ازدياد سلطة الكهنة اذ كانوا في بعض الاحيان يتسلمون السلطة السياسية نتيجة نفوذهم الواسع .

لقد تشعبت اعمال الكهنة وتعددت خدماتهم , فمنهم من كان يقوم بتلاوة الصلاة والادعية المقدسة , ومنهم من يتولى تقديم القرابين , ومنهم من كان مسؤولا عن ادارة خزينة المعبد , ومنهم من كان يقوم بالأعمال الكتابية هذا الى جانب ان لكل معبد فريق من المغنيات بتلاوة الاناشيد والغناء والضرب على الآلات الموسيقية اثناء اقامة المراسيم الدينية , ولم تكن النسوة يقمن في المعبد بصورة دائميه , بل يقمن في بيوتهن ويستدعين كلما دعت الحاجة الى خدماتهن في المعبد .

لقد ارتفعت منزلة رجال الدين ولاسيما في العهد الامبراطوري بسبب اتساع رقعة البلاد وزيادة ثروة المعابد التي شملت الحقول والبساتين والاطيان والاحجار الكريمة , والمعادن النفيسة , والحيوانات , اذ اصبحت هذه الاملاك الواسعة بأمس الحاجة الى ادارة متشبعة, ولقد كان المعبد هو المسؤول عن هذه الاملاك , نظراً لكون المعبد هو المكان

المخصص للعبادة وتمجيد الاله وتقديم النذور والقرابين واقامة الصلاة والاحتفال بالأعياد وتأدية المراسيم الخاصة وضبط الموارد , فان المعبد مر في مراحل عبر الزمن , ونحن نعرف ان المعابد في مصر ظهرت في العصور التي سبقت قيام السلالات , ولكن الميزات الرئيسة للمعابد ظهرت بصورة في عصر الاهرام , اذ بنى المعبد الى جوار الهرم لعبادة الفرعون واقامة الشعائر الدينية الخاصة به , ويلاحظ في معابد المملكة القديمة انها بسيطة في مظهرها , فهي تقوم وسط فناء واسع يحيط به ممر من الحجر , وابرز جزء في هذا الفناء هو رمز الشمس الذي يتخذ شكل مسلة تقوم على قاعدة عالية , ويوجد بالقرب من المسلة مذبح تقدم فوقه القرابين وفي معابد عهد الامبراطورية التي طرأ عليها تغير كبير , اذ ازدادت النقوش والزخارف والتماثيل والاعمدة , كذلك ظهور برج او برجان امام بناية المعبد ويمتد طويل فيه تقام على جوانبه تماثيل الحيوانات , وزين الممر ببرجين يوسطهما مدخل المعبد فساحة مكشوفة ثم برج ثان بعده يأتي قاعدة الاعمدة المقدسة الخاصة بالاحتفالات , وفي نهاية هذه القاعة توجد غرفة المعبد الرئيسية التي تضم تمثال الاله المعبود في مكان بارز يواجه الزائر عند دخوله الى المعبد هذا , ويوجد مدخل ثاني للمعبد في الجانب الخلفي من الغرفة تمتد وراءه غرفة كبيرة تستعمل لخزن ادوات المعبد وحاجياته , وقد جرت العادة ان تقام مسلتان امام المدخل الرئيس ويكتب عليها اسم الملك وعبارات الدعاء لأله المعبد .

ومن الامور التي لها مساس مباشر بالدين , هي تلك الابنية الضخمة التي يطلق عليها الاهرام والتي اشتهرت بها مصر ولاسيما ملوك السلالة الرابعة والخامسة الى جانب اهرامات النبلاء والتابعين و كان الدافع الرئيسي لمثل هذا البناء الضخم هو اعتقاد المصريين القدماء بالحياة الاخرى بعد الموت , ولاسيما رجوع الروح الى الجسم ويتوقف هذا الاعتقاد على بقاء الجسم سالماً في القبر غير معبوث به , والواقع ان اساس الفكرة في الاهرام هو الوهية الفرعون و لذلك شيدت الاهرام بأحجار كبيرة الحجم جداً , وقد احتوت تلك الاهرام مرافق كثيرة بني قسم منها تحت قاع الهرم , وقسم اخر في تجويف الهرم , والحقت بها مبان تقع خارجها مثل المعبد لعبادة الملك ولإقامة الشعائر الدينية , وكذلك

قد واصلوا ما بين الهرم وما بين المعبد وملحقاته وبين المدينة بممر طويل شيد في نهايته معبد اخر سمي بمعبد الوادي , وكان خاصاً بالملك ونحتت جدران هذا المعبد وجدران الممر بمشاهد دينية وضعت فيها تماثيل ذات علاقة بالطقوس الدينية , اما الدخول الى الهرم فكان من باب تقع في جانبه على مستوى اعلى من مستوى سطح الأرض ويؤدي هذا المدخل الى الأروقة والممرات الجوفية , ومن هذا المدخل ايضاً ينحدر طريق يؤدي الى ما تحت قاع لهرم , اذ تمتد الحجرات التي خصصت احدها لتابوت الملك والبقية لخزن ادواته واثاثه , ان اكثر الاهرام احتفاظا بأقسامها وملحقاتها هو هرم خوفو في الجيزة وهو اعلى من هرم خفرع , ولكن هرم خفرع اقيم على ارض مرتفعة , لذلك يبدو للناظر اكثر ارتفاعاً ويقع بالقرب من هرم خفرع هرم منكرع وهو اقل ارتفاعاً من الهرمين السابقين وتوجد بالقرب من هرم منكرع ثلاثة اهرامات صغيرة ربما كانت خاصة بأمراء العائلة المالكة , وتطورت الاهرام من اشكال بسيطة للقبور التي كانت في عصر ما قبل السلالات حفراً مستطيلاً او بيضوياً ثم تطوره في عصر السلالات , اعتقد المصريون بان روح الانسان تنفصل عن جسمه بعد موته , ولابد من اتخاذ الوسائل لحفظ الجسد فاستعملوا التحنيط لهذا الغرض وشيدوا القبور الضخمة بشكل الاهرام لحفظ الجسم وحمايته من السرقة وكانت هذه القبور في المرحلة الاولى بشكل مساطب لها غطاء من الحجارة او من الطين فوق القبر وتقسم حفرة القبر الى عدة اقسام توضع الجثة في واحدة منها وتوضع الاثاث في الاقسام الاخرى , واستمرت هذه المساطب في الاستعمال من قبل النبلاء في عهد السلالة الرابعة والخامسة والسادسة .

اما الملوك فقد بنو الاهرام وكانت في بادئ الامر اهرام مدرجة مثل هرم زوسر في صقارة الذي يتألف من عدة مصاطب غير متساوية الارتفاع ثم تطورت الاهرام المدرجة في عهد السلالة الثالثة الى اهرامات منحنية لأنها كانت تميل الى الداخل في الصف الاعلى بدلاً من ان تستمر في الارتفاع ويعد الهرم المنحني بداية الهرم الصحيح لأنه احتوى المعبد ومعبد الوادي والحجرات الجوفية والممرات , وفي عهد السلالة الرابعة والخامسة والسادسة اقيمت الاهرامات الصحيحة , وفي العصور التي

تلت عصر الاهرام بنيت الاهرام بحجم صغير جداص الى جانب القبور بشكل رمزي , ثم تضاءل بناء الاهرام بالتدريج حتى اختفت في عهد السلالة الثامنة عشرة , اذ استعيض عمها بالمعابد التي بنيت في وادي النيل في اماكن مجهولة تجنباً لعبث اللصوص .

بنيت الاهرام بجهود جبارة بذلها المهندسون والمعماريون والعمال , وكان المهندسون يختارون المكان المناسب لبناء الهرم قبل البدء فيه , واشترط في المكان ان يكون على ضفة النهر , غير بعيد عن ساحله لسهولة نقل الاحجار الضخمة التي كانت الواحدة منها تزن اكثر من طن , كما اشترط فيه ان تكون قريباً من العاصمة ومن قصور الفرعون , بعد ان يتم اختيار المكان يجري تخطيط البقعة الخاصة بالهرم ثم تحفر هذه البقعة حتى القاع الصخري لتهياه اساس قوي جداً قادر على حمل البناء الهائل تجري عمليه , ثم تجري عملية تسوية الارض , وقد اجاد المهندسون في هذه العملية , اذ لم يحدث لديهم خطأ في المستوى الافقي الا بمقدار 1/2 انج في الارتفاع , وقد جعل المهندسون القاعة مربعة الشكل ذات زاويا قائمة تتجه اضلاعها نحو الجهات الاربع الطبيعية وظهر بالقياس ان المهندسون لم يخطئوا في تقدير الطول الاضلاع الا بمقدار (8) الجات وهو فرق بين اطول ضلع واقصر ضلع .

أما الاحجار فكانت تنقل من المقالع الحجرية في الجبال المجاورة (جبال المقطم) , والاحجار الجيدة كأحجار الجرانيت كانت تستورد من اسوان لقطع الاسطوانات وعمل الابواب . ويظهر ان الات برونزية حادة استعملت لقطع تلك الاحجار المختلفة , واستعمل العمال طريقة المنحدرات لرفعها وذلك بدحرجتها على اكوام من التراب من مستوى اوطئ لأخر اعلى من الارتفاع المطلوب , وقد قسم العمل بين العمال فمنهم من اختص بالقلع , والنقل , واخرون بالرفع , واخرون بالبناء , واستخدم الفنانون في صنع التماثيل والاثاث واعمال الصيانة ونقوش الحفر .

التحنيط:

التحنيط عملية معقدة يقوم بها الكنة للمحافظة على جثة المتوفي من التلف والجسم المعالج بهذه الطريقة يسمى مومياء , وللتحنيط تاريخ طويل في مصر , ففي العصور القديمة كانوا يجففون اجسام الموتى بالشمس ثم يلفونها بجلود او الحصران ويدفنونها في القبر وفي اوائل عهد السلالات نشأت العقائد الدينية الخاصة بالإله اوسيرس , وبدأت المحاولات الاولى في التحنيط , فكانوا يفتحون البطن ويخرجون الاحشاء الداخلية عدا القلب ويجففون الجسم بالشمس ويملحونه ثم يلفونه بقطع الكتان , ومنذ عهد السلالة الثانية تفننوا في التحنيط , ولكن احسن عمليات التحنيط اجريت في عهد السلالة الخامسة وما بعدها , واستمرت عادة التحنيط في العهد الروماني وبعد ظهور المسيحية , ثم ابطلت في اواخر القرن الرابع للميلاد .

اختلفت اساليب التحنيط وتنوعت المواد المستخدمة فيه من عهد الاخر , واحسن الطرق هي تلك التي استخدمت في تحنيط جثث الملوك والامراء والاغنياء وكانت تكلف غالباً , وبموجب هذه الطريقة كان الكاهن يفتح شقاً في البطن باله حادة ثم يرفع الاحشاء الداخلية , عدا القلب وينزع المخ من الجمجمة وتعالج الاحشاء الداخلية , والمخ على حدة اذ تنظف وتضاف إليها البهارات والملح وتوضع في محلول الملح او الصودا لمدة سبعين يوماً , اما الجسم فكان ينظف بعناية ويغسل ثم يعالج بنبيذ النخيل ثم يملح ويوضع في محلول الصودا لمدة سبعين يوماً , فيذوب اللحم ويبقى العظم والجلد , ثم يؤخذ من المحلول ويجفف ويمسح بالزيت , ثم يحشى بخليط من المواد كالدارسين , وزيت خشب الارز , والصمغ والحنة , والبصل وعرق النخيل , ونشارة الخشب والزفت , والقار والقطران , وعدة انواع من البهارات , ويستمر هذا العمل لمدة شهر واحد , ثم يلف الجسم بأربطة من نسيج الكتان مشبعة بالصمغ ويستعمل شمع العسل لتغطية الاذان والعيون وفتحة الفم والانف والشق الذي احدثه الجراح في البطن , هكذا يصبح الجسد هيكلاً عظمياً مكسواً بجلد اصفر , ولكن الوجه يظل محتفظاً بشكله الاصلي , ويمكن التعرف عليه بعدة قرون , واحسن مثال على ذلك مومياء الفرعون ستي . وبعد اتمام عملية التحنيط تجري عملية التزيين فتعلق العقود والقلائد وتوضع الاحشاء

والمخ في اربعة جرار مع الجسم في تابوت , كما توضع نسخة من الكتاب الاموات بين ساقي الجسد لإرشاد الميت في حياته الثانية .

ومما هو جدير بالذكر ان الطب الحديث توصل الى معرفة بعض الامراض التي مات بسببها الاشخاص الذين حنطت جثثهم بعد دراستها كمرض البهاريزيا والسل والحصاة.

5 . الفنون :

ازدهر الفن في مصر نتيجة ارتباطه الوثيق بالدين , فقد اوجبت الديانة كما رأينا حفظ جسد الفرعون وروحه , ولابد من ايجاد مأوى يحمي جسده فنشأت الاهرام واقيمت في الاهرام غرف ذات ابواب لتحفظ فيها المفروشات ولأدوات الجنائزية , كما نحتت صخورها نحتاً دقيقاً , واستخدمت مواضيع أسطورية في الرسم والنحت كوسائل سحرية يمكن بواسطتها احياء الموتى , وكان الغرض من ترتيل انوبس نقل مؤونة الطعام والشراب والعدة الشخصية الى روح الميت وضمان بقائها الى ان يبعث الى الحياة التالية واستخدم الرسم والنحت البارز على جدران قاعات المدفن لبيان نوع مؤنة الطعام ومراسيم الصلاة , ثم اضيفت اليها فيما بعد ما يعبر عن تحضير الطعام والعمليات الزراعية , وصيد الحيوانات , والرعي , وممتلكات الفرد, وحوادث الرقص والغناء , والقصد من ذلك جعلها حقيقية في عالم ما بعد الموت , وفي عهد الاقطاع نقت الادعية والتعاويذ على قبور زعماء الاقطاع , وفي عهد المملكة الوسطى نقشت على قبر شخص غني , يتضح من ذلك ان الاعمال الفنية استخدمت منذ البداية لأغراض دينية فالمعابد شيدت لإلهة , والقبور للأموات , والتماثيل للآلهة , والافراد لتكون مكاناً تقيم فيها روحهم , وبذلت العناية لتمثيل الالهة من حيث الطعام واللباس .

تدل تماثيل ملوك السلالة الرابعة على مهارات فنية رائعة , كانت نتيجة تطور سابق في اعمال النحت الصغيرة في عهد قبل السلالات , ومن الامثلة النادرة لتماثيل هذا العهد راس من حجر الكلس الابيض غير الملون , وتبدو فيه ويعد تمثال منكرع وهو جالس على عرشه من اعظم

الاعمال الفنية لعهد السلالة الرابعة وهو مقطوع بحجم اكبر من الحجم الطبيعي , وتدل تفاصيله على دقه وعظمة فن النحت المجسم في عهد المملكة القديمة , وكم برز فنانو هذا العهد في النحت المجسم , فقد ابدعوا في اعمال بارزة ايضا ففي احدى المصاطب التي وجدت قرب هرم خفرع لوح نقشت عليه صورة الاميرة صاحبة اللقب وهي جالسة خلف منضدة عليها مواد طعام والشراب والادوات الخاصة المدفونة معها ومما هو جدير بالذكر ان هذه المشاهد كانت تقليدية على ألواح مصاطب الدفن في عهد المملكة القديمة , وفي عهد السلالة الخامسة والسادسة استمرت اعمال النحت البارز على الجدران , وظهرت ميول لتسجيل حوادث متسلسلة بالرسم والنحت وصنعت تماثيل من الخشب كالتمثال المعروف بتمثال شيخ البلد .

تمثل فنون اوائل العهد الامبراطوري استمرت نامياً لفنون المملكة القديمة والوسطى , فالعمارة والنحت والزخرفة تدل على توسيع في موضوعات سابقة اكثرها دينية , فالمعماريون شيدوا اسطوانات مضلة ضخمة من احجار كلسية كبيرة جداً اقاموها في شرفات المعابد , والنحاتون صنعوا تماثيل للملوك والامراء ونحتوا جدران المعابد والقصور والقبور نحتاً بارزاً بطراز اكثر ميلاً للطبيعة .

وظهر لدى الفنانين ميل لصنع تماثيل ضخمة جدا تزيد في حجمها على الحجم الطبيعي كثيراً , وفي زخرفة الجدران اتقن استعمال الالوان المتعددة كاللون الوردي , والازرق , والرمادي , والاصفر , والاحمر , وتباعدت الرسوم عن بعضها بمسافات متناسية بعد ان كانت مزدحمة ومتقاربة .

وان اكثر اثار هذا العهد اهمية هي المعابد والقبور الضخمة التي بنيت في الكرنك اما المعابد فقد شيدت على اسطوانات كبيرة جداً يبلغ ارتفاع البعض منها (70) قدماً. وتقوم عليها تيجان هائلة لونت بالوان زاهية متعددة , واقيمت في المعابد تماثيل كبيرة الحجم للملوك نحتت بطراز طبيعي , واقيمت مسلات لتسجيل اعمال الملوك الحربية , اما الجدران فقد زينت بمنحوتات بارزة تظهر فيها الحملات البشرية التي قادها ملوك

الامبراطورية في سوريا , ويفهم من هذا المشاهد انه كان للمصريين جيش منظم يتألف من فرق العربات , والخيالة والنبالة والمشاة , أما القبور فقد قطعت في الحجارة ووضعت فيها ألواح تحمل اسماء اصحابها مع عدد كبير من الآلات والادوات والحلي ومن المعادن والاحجار الثمينة , وكل هذه المخلفات تدل على ان الاعمال الفنية الدقيقة كانت على جانب عظيم من الروعة والدقة والاناقة والبذخ وفي زمن السلالة الثامنة عشر ظهرت صناعة الاواني والمزهريات الزجاجية ولدينا من هذه الفترة مزهريات زجاجية عليها اسم الفرعون توحتمس الثالث معروضة في عدة متاحف مختلفة من العالم .

العلوم والحياة العقلية :

لقد بلغ المصريون القدماء بل تجاوزوا على صعيد الفكر والعلم الشهرة التي بلغها سكان العالم القديم , اذ وصلت الينا من خلال الكتابات المصرية القديمة منذ اواخر الالف الرابع قبل الميلاد اشياء كثيرة , ارخها المصريون القدماء حسب الحوادث الكبرى في حياتهم لسنة من سني حكم احد فراعتهم , او بحادث طبيعي كبير كحوادث فيضان او وباء او ما شابه ذلك , وقسم المصريون السنة الى اثني عشر شهراً قمرياً عدد ايام كل منها ثلاثين يوماً .

لقد عرف المصريون علم الحساب , وعلم الهندسة الضروري الادارة ولحاجتهم الى نظام دقيق للمقاييس ولا شيما في بناء الاهرام وتقدير ارتفاع المياه وقت الفيضان , وفي هذه الميدان اي ميدان الحساب , استعملوا نظاماً عشرياً وكانت عندهم اشارات للأعداد من (1) الى (10) و (100) الى (1000) و (100000) وعرفوا الكسور والجمع والطرح , الا انهم جهلوا العمليات الحسابية الاخرى التي لم يستطيعوا اجراءها الا بالاستناد الى القاعدة العشرية .

اما في علم الفلك والتبصر الى السماء فقد اثار اهتمامهم وبنوع خاص اهتمام الكهنة المكرسين لعبادة الشمس (رع) , وقد حمل رئيس كهنة

هيلوبولس اللقب الرسمي (اكبر الرائيين) اذ لاحظوا بعض الاحداث الفلكية ورصدوها , الا انهم لم يبلغوا ما بلغ إليه سكان وادي الرافدين في حقل هذه المعرفة , فلم يعيروا اهمية لكسوف الشمس , ولم يهتموا بإدراكها قبل حدوثها الا انهم ضبطوا الدورة السنوية الشمسية أي (الروزنامة) .

اما في مجال الطب فكان اهم اهتمام واسع وكبير وبلغوا شهرة كبيرة اعتفت لهم بها اكثر الامم المجاورة اذ اختصوا في الامور الطبية وحقولها الصحية والمختلفة كأطباء العيون , والرأس , والاسنان , والبطن , والامراض الداخلية , وقد اظهرت الحفريات الشيء الكثير عن الامور الطبية , فكانت عندهم كتب طيبة مقدسة محفوظة في المعابد , كذلك زودنا الكتاب المصريون ولا سيما الواح البردى التي تعطينا فكرة توحي عن تطور العلوم كعلم التشريح , واللصقات وزيت الخروع والاعشاب المختلفة لعلاج بعض الامراض , هذا الى جانب علم السحر وعلاقته بالطب ,اذ كان للسحر اثر واضح في الطب لعلاقته بالتنجيم , اذ تذكر المصادر ان هناك ادوية تشفي المرضى في بعض الاشهر , بينما تبقى دون جدوى في اشهر اخرى , هذا الى جانب استعمال الرقي والتمائم والتعويذ من كل نوع , لذلك فالحضارة المصرية قد اثرت تأثير كبيراً في حضارات الامم القديمة مع ارتباط حضارتها بسلطة الدولة والالهة المطلقة.

هذه هي بعض مظاهر الحضارة المصرية القديمة التي نمت وتطورت في هذا الجزء من وطننا العربي الكبير , اذ حقق الانسان العربي هذا النهج الفريد في انتاجاته الحضارية .

الفصل الاول

الخلفية الجغرافية للحضارة السورية

ومصادر التأريخ للعصور المبكرة

ان اهمية بلاد الشام ترتكز بالدرجة الاولى على علاقتها بجزيرة العرب لكونها مصدر القبائل العربية التي نزحت منها عبر العصور القديمة واحتلت مكانة عظيمة في تاريخ الامة العربية بوجه خاص وتاريخ العالم بوجه عام ، وكان فضلها كبيرا في تقدم الحضارات في العالم القديم نظرا لما قدمته الحضارة العربية القديمة من خدمات انسانية جليلة في سبيل تقدم الحضارة في العالم اجمع.

فمعرفتنا بهذه الحضارة التي لعبت دورا مهما في تغيير معالم الشرق الادنى في النصف الاول من الالف الثانية راجع بالدرجة الاولى الى التنقيبات الاثرية التي كشفت الشيء الكثير عن تطور تاريخ الانسان منذ اقدم عهوده ، فقدمت لنا هذه التقنيات الشيء الكثير عن حياة الانسان الاولى عندما كان في عهد الفطرة اي في عهد العصور ما قبل التأريخ ، ثم كيف استطاع هذا الانسان بعد الوف السنين ان ينتقل من ذلك الطور وينشئ اولى الحضارات الناضجة ولا سيما في وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام التي نحن بصددها .

ان دراسة هذا التاريخ ، اي التاريخ القديم في مفهومه القومي الرحب ، يسجل التراث المتأتي الينا في مراحل التطور الذي عرفه الانسان في رقيه الصاعد ويحصي كل ما اسداه الانسان العربي القديم من خير للتراث المشترك . تفند هذه الدراسة الرأي القائل ان الحضارة وقفا على الاوربيين ابناء القرن العشرين . ان هذه الحضارة التي كونها الانسان العربي في بلاد الشام منذ العصور التاريخية المبكرة وما تضمنت من افكار ونظم سياسية ومستوى من العيش والتقنية وطاقات الانتاج وقدرة على تامين العلائق الاجتماعية على اختلاف مظاهرها الفكرية والدينية والفنية ، تعنينا نحن دارسي التاريخ القديم في الوقت الحاضر لدراسة الاصول الاساسية لتراث امتنا المجيدة وبذلك تكون هذه الدراسة ، اي دراسة التاريخ القديم ، ضرورة لازمة لفهم التاريخ الحديث وعلى هذا الاساس فأن التاريخ مستمد من كل ما خلفه الانسان اي يشمل جميع اثار الماضي مما يساعدنا في فهم الواقع الحاضر .

لقد اظهرت الحفريات الاثارية التي اجريت في هذا الجزء من وطننا العربي ، خصوصا في المناطق المنتشرة في بلاد الشام (سورية ـ فلسطين ـ لبنان ـ الاردن) عن اسرار هذه الحضارات القديمة التي عاشها الانسان العربي القديم في تلك المنطقة . ومن خلال الدراسات المستفيضة لهذه المنطقة استطعنا ان نعرف ان

الاحوال الطبيعية [1] لجزيرة العرب وخصوصا في نهاية العصور الجليدية تعرضت الى الجذب والجفاف بحيث بدأت الاقوام المستوطنة في تلك البقعة تهاجر في ازمان موغلة القدم ، وتنزح الى بلاد الشام ـ وعلى القارئ ان يلتزم بالحدود الجغرافية السياسية الحالية لأنها في الواقع حدود مصطنعة اوجدها الاستعمار ـ لذلك نستطيع ان نقول وبشواهد اثارية ان بلاد الشام لا تنفصل حضارتها عن حضارة جزيرة العرب ووادي الرافدين او حضارة وادي النيل ، فكلها حضارة عربية قديمة ان دلت على شيء فإنما تدل على تقدم الانسان العربي القديم في تلك الفترة من الزمن .

لقد اعطى العرب لهذه البلاد اسم الشام لوقوعها الى اليسار من الحجاز اما كلمة سورية فأنها كلمة عربية لاسم عربي قديم استعمله البابليون واطلقوه على اقليم في الفرات الاعلى باسم (سو ـ ري) وكذلك يظهر هذا الاسم ضمن الكتابات المكتشفة وخصوصا الكتابات الادبية لمدينة (اوغاريت) (رأس شمرة) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . اما الاسم اليوناني لسورية فهي صيغة محورة عن اصل عربي قديم .

وتشمل جغرافية بلاد الشام خمسة مناطق (1) منطقة الساحل (2) منطقة الجبال) (جبال لبنان) ويأتي اسم لبنان من الاسم العربي الكنعاني بمعنى ((البياض)). (3) منطقة البقاع (4) جبال لبنان الغربية (5) البادية .

ان هذه الصفة الطوبوغرافية لبلاد الشام ، هي تناوب الاراضي المنخفضة والاراضي المرتفعة بحيث تحاذي بعضها بعضا وتتجه من الشمال الى الجنوب مكونة هذه المناطق والتي تمثل جغرافية بلاد الشام قد اثرت في حياة الانسان القديم الذي عاش فيها وبنى حضارته فيها .

وكان لموقع بلاد الشام الاستراتيجي المهم الاثر البالغ في تكوين الحضارة القديمة على اعتبار ان هذا الموقع يصل بين القارات القديمة الثلاث وكذلك لوقوعها بين حضارتين عربيتين هي حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين ان اول هذه المناطق المتباينة في جغرافية بلاد الشام هو السهل الساحلي الواقع الى الغرب

[1] ـ طه باقر ، المقدمة ، جـ 2 ، ص 1510

والذي يمتد على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط من شبه جزيرة سيناء الى خليج الاسكندرونه .

ويرجع اصل هذا السهل الى ارتفاع قاع البحر القديم في ذلك العصر البعيد والساحل بكامله اكثر السواحل استقامة فلا يوجد فيه خليج تهرى عميق الا في الشمال حيث خليج الاسكندرونه ذلك الجزء العربي الذي انسلخ عن الوطن الام واهداه الاستعمار الى تركيا .

ويشرف على السهل الساحلي سلسلة من الجبال والهضاب والنجاد المرتفعة والتي تبدأ من جبال امانوس الذي تذكره المصادر العربية بجبل ((اللكام)) 2 او((جبل الكفار))وهو فرع من سلسلة جبال طوروس ، في الشمال وتمتد الى سيناء جنوبا ، وتكون سلسلة جبال لبنان بمثابة المركز الرئيسي لهذه المنطقة . وربطها بالساحل ، ولا يوجد غير منفذ واحد في الطرفين الشمالي والجنوبي في منطقة خليج الاسكندرونة حيث يتم الاتصال ما بين ـ النهرين وفي خليج السويس الذي يجري الاتصال بواسطته مع البحر الاحمر والصحراء العربية .

وجبال الامانوس ((جبل اللكام)) هو التواء فرعي يمتد من جبال طوروس التي تفصل سورية عن اسيا الصغرى ويحيط بخليج الاسكندرونه فيشكل حاجزا بين سورية وكليكية . ويشق نهر العاصي طريقه الى البحر في الطرف الجنوبي من امانوس وفي هذا الجبل طرق تؤدي الى انطاكيا وحلب ، ويشكل هذا النهر الذي النهر الذي ينبع من الجبال النصيرية كما سماه المؤرخون العرب الحد الفاصل بين هذه الجبال وجبال لبنان كما انه يكون الحدود السياسية الحالية المصطنعة بين لبنان وسورية . وتعد فلسطين من الناحية الجغرافية امتدادا لجبال لبنان من الجهة الجنوبية ويمتد من جبال الكرمل الى جنوب يافا حتى يتصل بالساحل الفلسطيني ويستمر الفى شمال صفد في منطقة الجليل الاعلى كذلك الجليل الاسفل ((الادنى)) يبدأ من قرب بلدة الناصرة وتنقطع قرب مرج ابن عامر اما السهول المنخفضة في سوريا التي تؤلف ((البقاع) وهو سهل ضيق يمتد من نهر العاصي شمالا حيث يكون سهلا عريضا نوعا ما وهو ما يعرف بسهل العميق وقد ذكر في المصادر الاشورية باسم ((اونقي)) اما التسمية ((البقاع)) فه9ي تعني مجمع

[2] ـ فيليب حتي ، تاريخ بلاد الشام ، ص 33

المياه الراكدة ، كما ان اسم بعلبك مأخوذة من كلمة بعل البقاع اي ((سيد اورب البقاع)) . ويستمر هذا السهل الى مدينة حماة .

وبين جبال لبنان الغربية والشرقية يعرف اسم السهل باسم سهل البقاع الذي يستمر جنوبا الى الاردن اي الى منطقة البحر الميت ، ومن ثم يمتد الى العقبة وهي المنفذ الشرقي للبحر الاحمر .ثم ينخفض عند بحيرة طبرية تحت مستوى سطح البحر .ويختلف عرض هذا السهل من 6 - 10 اميال ويرفع بالقرب من بعلبك ، ويوجد في القرب من هذا الموضع محل تقسيم المياه حيث يتجه العاصي وكذلك نهر الليطاني جنوبا ويكاد يكون متمما لمجرى نهر العاصي حيث يصب في البحر بين مدينة صور وصيدا .

اما القسم الرابع من اقسام بلاد الشام فهي سلسلة الجبال الشرقية وتبدأ هذه السلسلة في جنوب حمص وتكون في منطقة مقابل جبال لبنان الغربية وتدعى بجبال انتي لبنان او لبنان الشرقي . ان هذه الجبال تبدأ على طول واحد وارتفاع واحد حيث تبدأ بالانخفاض في منطقة جبل الشيخ الى هضبة الجولان والذي تحده وتجاوره من جهة الغرب هضبة الجولان ومن هناك تمتد في منطقة الاردن . وفي تلال جلعاد وهضبة مؤاب المرتفعة وتنتهي في جبل سعير جنوبي البحر الميت .

ان هذه المنطقة اقل استيطانا من منطقة جبال لبنان الغربية وذلك لقلة الامطار فيها ويأتي نهر بردى من قرب الزبداني ويجري شرقا ويروي قسما مهما من اراضي الشام لولاه لأصبحت جرداء . ويمتاز في هذه المنطقة سهل حوران الذي تذكرة المصادر الاشورية باسم حرانو ويمتاز سطح حوران في قسمه الاكبر بالصخور البركانية ذات التربة الغنية والتي تنتج القمح بكثرة ومراعيه جيدة غير انه قليل الينابيع.

وتدل الاثار المكتشفة في هذه المنطقة انها سكنت منذ عصور ما قبل التاريخ الى العهود العربية الاسلامية حيث لا تزال بقايا الطرق والحصون والقنوات والصهاريج وتتصل هذه البقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من خلال منطقة البادية ((الحماد)) الى منطقة الحجاز في شبه جزيرة العرب . ونظرا لكون هذه المنطقة تتكون من اراضي بركانية فلذلك دعيت باسم حرات للدلالة على اسم البركان في اللغة العربية .

اما بادية الشام فتمثل القسم الخامس من اقسام سوريا الجغرافية ولعبت دورا مهما في نشوء الحضارة العربية القديمة . وهذه البادية التي تمثل معدن العروبة الخالص شهدت سيلا عرما من القبائل العربية القدية التي لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والاجتماعية في منطقة الوطن العربي على امتداد الرقعة العربية فكانت هذه البادية رافدا مهما للسكان حيث ترفد المنطقة العربية بدم جديد كلما احتاجت لذلك ، حيث تتصل هضاب حوران الشمالية الشرقية ومنطقة الاردن بمناطق السهوب في بادية الشام الكبرى التي هي امتداد لصحراء العرب الكبرى وتتصل هذه البادية بالعراق والتي تؤلف الباب الشامية العراقية رقعة شاسعة على هيئة مثلث تستند قاعدته في خليج العقبة من جهة الغرب وعلى منطقة الكوين من جهة الشرق ويمتد راسه اغلى حلب في الشمال ويبلغ اكبر عرض له نحو (800) ميل وهي موطن البدو يتاجرون مع المناطق الحضرية وعلاقتهم التجارية والعرقية مع موطن الحضارات في كل من مصر والعراق وسوريا تمتد الى ابعد العصور فهم اهم مصدر للسكان خصوصا عندما قامت الدولة العربية القديمة في كل من هذه الاقاليم وتسلمت مقاليد الحكم .

اما اثر بلاد الشام في التاريخ والعوامل المؤثرة فيه ، فقد اصبحت لنا الصورة الجغرافية وموقعها المهم بالنسبة للأقاليم الاخرى واضحة ، فلذلك نستطيع ان نرسم صورة واضحة عن الحوادث السياسية التي مر بها هذا الجزء من الوطن العربي والتي اثرت تأثيرا مهما في تاريخ سوريا وذلك لوضوحها الجغرافي وسكانها وموقعها الاستراتيجي المهم فكانت عرضة للأخطار والغزوات من جميع الجهات الى جانب مجاورتها لا قدم مركزين حضاريين عربيين هما الحضارة البابلية والاشورية في العراق من جهة الشرق وحضارة وادي النيل من جهة الجنوب الغربي وجانب تعرضها لغزوات اليونان والرومان والصليبيين والعثمانيين 3 .

ان بلاد الشام ملتقى التأثيرات الثقافية المنبعثة من مركز الحضارة في وادي النيل ووادي الرافدين كما ان هذه الحضارة كانت من اهم العوامل على عدم نشوء حضارة اصيلة كحضارة العراق القديم ومصر القديمة .

والشيء المهم ان الحضارة السورية كانت حضارة مزيجه من هاتين الحضارتين العربيتين وخصوصا عندما تسلم العرب الاموريون مقاليد الحكم السياسة في وادي الرافدين وكانوا ما يغرف بالإمبراطورية البابلية القديمة ((العهد البابلي القديم)).

ونحن نعرف من خلال دراستنا للتاريخ وتعرفنا على النصوص التاريخية كيف ان بلاد الشام كانت في حوزة الامبراطورية البابلية والمصرية والاشورية والكلدانية الى ان وقعت فريسة الاحتلال اليوناني والروماني .كذلك تعرضت البلاد السورية نتيجة الموقع الجغرافي والتاريخي الى التأثيرات المختلفة من الاقوام الهندية الاوربية المتأتية من الاناضول وبحر ايجة وكذلك اليونانيين والرومانيين .

ولعل اخطر التأثيرات التي كونت تاريخها وطبعته بطابعه الخاص موقعها المجاور الى مهد الاقوام العربية ، جزيرة العرب ، فكانت المحطة الرئيسة للعرب منذ اقدم العهود ، ان هذه الصورة التي تبدو فيها بلاد الشام وهي متأثرة بالحضارات والثقافات القديمة تظهر فيها بلاد الشام وهي مؤثرة اثرا مهما في تاريخ الحضارات البشرية ولذلك ان ابرز التأثيرات تكون من كونها مركزا مهما لعب فية العرب القدماء ، كالكنعانيين والاموبين والاراميين ، دورا مهما . في مساهمتهم في الحضارة البشرية عن طريق نشرهم الحروف الهجائية وكونهم اول من اكتشف المحيط الاطلسي اضافة الى مساهمة بلاد الشام المهمة في الحضارة اليونانية والرومانية حيث زودت سوريا العالم بعدد مهم من العلماء والمفكرين والشعراء والادباء واخيرا لعبت هذه البلاد دورا مهما في نشوء الحضارة العربية الحديثة منذ العهد الاموي والى الوقت الحاضر .

ان دراستنا لتاريخ بلاد الشام ، تعتمد بالدرجة الاولى على التقنيات والبحوث الاثارية الحديثة التي لنا عن امور كشفت لنا عن امور لها جانب كبير من الاهمية منذ اقدم عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية التي تمثل لنا اثار الحضارة العربية القديمة التي خلفها لنا الاموريون والكنعانيون (الفينيقيون) والاراميون .والاقوام الاخرى هذا الى جانب المصادر الاخرى المدونة كأخبار التوراة وما ذكره الكتاب اليونان والرومان ،كذلك المصادر العربية الاسلامية ، هذا الى جانب الاثار المختلفة التي ضمتها بطون المدن الكبرى سواء في بلاد الشام ام في مواطن الحضارات القديمة الاخرى والتي وردت في الاخبار المدونة من حضارة وادي

الرافدين ووادي النيل . ان هذه المصادر المختلفة قد اعطت للباحث مادة كثيرة الى جانب التمييز التاريخي للأدوار المختلفة في تاريخ حضارة بلاد الشام وضبط التسلسل التاريخي الذي مرت به الحضارات ويمكن تقسيم هذه الادوار الى :-

1 _ عصور ما قبل التاريخ وتشمل :

أ ـ العصر الحجري القديم .

ب ـ العصر الحجري المتوسط .

جـ ـ العصر الحجري الحديث .

2 _ العهود التاريخية (تمثل الحضارة العربية في حدود (2400 - 538 ق - م).

أ ـ العرب الاموريون .

ب ـ العرب الكنعانيون (الفينيقيون) .

جـ ـ العرب الاراميون .

د ـ الدويلات الاخرى (العبرانيون) .

3 - الحكم الاستعماري القديم (الاخميني) 5348 - 333 ق - م .

4 - الحكم الاستعماري القديم (اليوناني والروماني الذي بدأ باحتلال الاسكندر المقدوني سنة 333ـ قـ م)

5 - تحري بلاد الشام واعادتها الى الحضيرة العربية وطرد الاستعمار القبديم (633 - 640 م).

الأقوام العربية في بلاد الشام

الاموريون الكنعانيون الاراميون

1_ الاموريون :

امورو الصيغة الاكدية للتسمية سومرية (مار_تو) بمعنى الغرب وهذا المصطلح ذو مدلول جغرافي عندهم يعني بلاد بالنسبة لبلاد وادي الرافدين ، كما يطلق هذا الاسم على الإله القومي للاموريين ثم استعمل البابليون كلمة امورو لتدليل على كل بلاد الشام حتى أنهم سموا الأبيض المتوسط ببحر امورو العظيم

لقد وردت أولى الإشارات التاريخية إلى ارض الاموريين في عصر سرجون ((السلالة الاكدية)). وعلى كل فان الامورين هم اكبر البطون العربية التي استوطنت أجزاء مختلفة من بلاد الشام وفي مدة قصيرة استطاعوا أن يؤسسوا سلالاتهم في سوريا والفرات الاوسط وفي العراق وفي أشور ، واعظم سلالة امورية في العراق هي سلالة حمورابي ((العهد البابلي القديم))، ففي بلاد الشام كان الاموريون يلعبون الدور الرئيسي في الأحداث السياسية وخصوصا عندما بدأوا يهددون بلاد وادي الرافدين في زمن الملك الاكدي ((شار_كاي_شري)) ثم كانت هجراتهم الضخمة ابان حكم (ابي سن) آخر ملوك سلالة اور الثالثة ((أخر سلالة سومرية)) بحيث أدت في النتيجة أن تقضي على هذه السلالة وأقامت في بلاد وادي الرافدين دويلات أمورية مهمة. وبما أن بلاد الشام الداخلية كانت بوجه عام مراكز مهمة للدويلات الامورية بيد أن الموجات التي انحدرت إلى بلاد وادي الرافدين جاءت بالدرجة الأولى من البوادي الكائنة في غرب الفرات ، بادية الشام وبادية العراق، ومن أعالي الفرات وشمال مابين

النهرين حيث سبقت الاشارة في المصادر المسمارية التي التي خصت المرتفعات المسماة جيل (بسار) بأنها موطن الاموريين الذين احتك بهم سكان وادي الرافدين ومنها نزحوا أليه حيث تذكر المصادر المسمارية المنطقة بالتحديد وهي مابين تدمر ودير الزور...

لقد تمركز الاموريون في الأقسام الشمالية من بلاد الشام ثم اخذوا ينتشرون في اواسط سورية وفي لبنان حتى امتدوا جنوبا إلى فلسطين وكونوا امارات مهمة في بلاد الشام مثل ماري (تل الحريري) وقطنة وحماة ودمشق وارواد والبطرون وجبيل وهداكو (حلب).

وتذكر الرسائل المهمة التي زودتنا بها الحفريات(1)في مدينة ماري أن الاموريين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كانوا يسيطرون على المنطقة الممتدة من البحر المتوسط إلى بلاد عيلام..

يستدل من هذا أن الاموريين لم يقتصر نشاطهم على تأسيس دولة منطقة الفرات الاوسط واجتياح سوويا وإنما أسسوا في بلاد وادي الرافدين حكما واسسوا عدة دويلات مهمة.

وعلى ذكر الكتابات التي زودتنا بها الحفريات الفرنسية في مدينة ماري (تل الحريري) قرب البو كمال،كان من أعظم ما كشفته أعمال التنقيب في العصور الحديثة فقد تضمنت أكثر من 20،00الف لوح مسماري وهو عدد لم يخرجه اي موقع آخر باستثناء نينوى، وتمثل هذه الالواح المكتوبة بالخط المسماري البابلي القديم وباللهجة العربية الغربية مكتبة الملك العربي الاموري (زمرلم) آخر ملوك مدينة ماري التي كانت العاصمة الاموية منذ الالف الثاني قبل الميلاد والتي ضمت اليها معظم البلاد السورية. لقد كشفت هذه الحفريات عن الاشياء المهمة في هذه المدينة في عهدها الاموري كالقصر الملكي الواسع الذي يشغل مساحه تقدر بسته فدادين وجدت فيه اكثر من(300)غرفة زينت جدران الكثير منها بصورة متقنة الصنع للرجال والالهة هذا بالاضافة إلى الرسوم الملوقة بالالوان الزاهية والتي تمثل الملك الاموري زمرلم يتسلم من الالهة عشتار رموز السلطة. وهذا القصر ووثائقه شاهد على حضارة العرب الزاهرة في تلك الفترة السحيقة في القديم.

أن هذه الوثائق الخطيرة والتي تتضمن أنواعا(1) مهمة من الوثائق و السجلات الملكية الخاصة. ومنها الوثائق والرسائل التجارية والإدارية التي ترجع إلى الملك زمرلم 1730-1700 قبل الميلاد، قد ألقنت الضوء الكثير على جوانب مهمة في تاريخ بلاد الشام عامة والامورريين وتاريخ الشرق الأدنى بصورة خاصة وكذلك اخبرتنا عن العلاقات الدولية بين سوريا واقطار الشرق القديم هذا جانب نواح مهمة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادي والسياسية إلى جانب تعرفنا بمدن لعبت دورا مهما في كافة نواحي الحياة العامة فقد ورد اسم مدينه ((خلبو)) ((جلب)) كعاصمة لملكية امورية اسمها ((يمخد)) واسم ملكها ((يريم _لم)) وان مدينة جبلا ((جبل)) كانت مركزا مهما لصناعة الملابس مدينه قطنا من المراكز الإدارية المهمة وحران كانت إمارة أمورية

ويفهم من الالواح المارة الذكر أن الامورريين استعملوا عربة تجرها الخيول كما استعملوا النار في أحوال الدفاع والاستخبارات إلى جانب الازدهار الاقتصادي الناتج عن التقدم والصناعي والتجاري(2)وخصوصا التجارة الولية مع أقطار الشرق الأدنى . كما يفهم أن الامورريين كانوا واسطة. لتجارة مهمة بين أقطار البحر المتوسط ((بحر امورو)) وبين بلاد وادي الرافدين هذا بالإضافة إلى نشر الثقافة العربية التأثيرات الفتية.

أن الدويلات الامورية لعبت الدور الكبير علي المسرح السياسي بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد لعد أن استعادت نشاطها بعد أقول نجم الإمبراطورية البابلية القديمة وظلت إلى زمن تأسيس الامبراطورية المصرية حيث بدأت مصر توسعها لأجل بناء إمبراطورية للأول مرة قسما كبيرا من سوريا تحت

سيطرتها هذا إلى جانب مراكز القوى في المنطقة المتمثلة بالأشوريين وظهورهم على المسرح السياسي وكذلك الحثيين، وبين هذه المراكز القوية المتصارعة انحصرت الدويلات الامورية في سوريا الوسطى.

وتشير الرسائل المعروفة برسائل تل العمارنة في مصر أن احد ملوك الامارات الامورية المدعو عبد عشرتا ((اي عبدالاله)) حاول أن يتدخل في هذا الصراع الدولي ويثبت إقدامه في المنطقة السورية ويحصل على بعض الاستقلال. هذا

مالمسناه من الرسائل المتبادلة مع امنوفيس الثالث منتهزا فرضة النزاع بين الدولة الحثية والدولة المصرية وكان عبد عشرتا يحكم في مملكة مقرها مدينة أرقة (شمال شرق طرابلس) في عالي نهر العاصي. ومن خلال تفصح فحوى الرسالة يتبين قدرة هذا الملك وحنكته السياسية في استغلال الظروف باظهار الولاء للفرعون مع تستره في تكوين قوة تقف ضد الزحف المصري الحثي. وبالنتيجة فقد اكتسب لنفسه مناطق جديدة حيث انوه استولى على المدن السورية الواحدة بعد الأخرى على طول الساحل وفي الداخل احتل قطنة وحماة وغوطة دمشق وارواد والبترون وجبيل مما حدا بأحد أمراء الكنعانيين المحالفين مع فرعون مصر ((امنوافس الرابع)) اخناتون صاحب الدعوة الدينية الجديدة بأخباره عن اعمال عبد عشرتا وتضرعه إلى الفرعون بإرسال المساعدة ولكن رسائله كانت دون جدوى وفي الأخير تحرك امنوفس وأرسل فصيلة من الجنود الا أنها لم تستطع استرجاع الممتلكات المصرية .أن الرسائل التي الأمير الكنعاني ((رب _عدي)) إلى فرعون مصر مبينا فيها الوضع (1) العام في المنطقة السورية تبين لنا قوة الاموريين وسيطرتهم السياسية على بلاد الشام وخصوصا أذا عرفنا فيما بعد من رسائل تل العمارنة أن مصر قد خسرت كل ممتلكاتها في بلاد الشام.

عندما توفي عبد عشرتا تابع ابنه المدعو عزيرو نفس الاسلوب بل أن هذا الملك كان اشد من ابيه حيث استطاع هو واخوته وحلفائه أن يستولوا على مدن جديدة أخرى. وهذا وارد في رسالة الأمير الكنعاني رب عدى عندما بعث برسالته المكتوبة بالخط المسماري : (أن ملوك كنعان عندما كانوا يرون المصريين يهربون من إمامهم ولكن أبناء عبد عشرتا الان يهزاون بشعب مصر ويهدوني بأسلحة دموية))

لقد سيطر الاموريون على كل سوريا وانتقلوا إلى الجنوب في فلسطين مكونين امارات .عربية جديدة وصاروا أسياد المنطقة في بلاد الشام كلها لقد خلف لنا هولاء العرب حضارة متميزة بمميزات خاصة تدل على عظمتهم وقدرتهم على الإبداع ولابتكار.

من خلال ما تركه لنا الاموريون من تراث ومن خلال النصوص الاثارية والمكتشفات المعاصرة في مناطق خارج حدود الإقليم الاموري نستطيع أن

نكون صورة حقيقية عن أهم المنجزات الحضارية للاموريون ، فاللغة الامورية التي تكلموا بها هي إحدى اللهجات العربية القديمة التي زودتنا بمعلومات وافية عنهم

ومن خلال الآثار المكتشفة في بلاد الشام والعراق وبلاد وادي النيل نستطيع أن نتبين الصورة الممثلة للإنسان العربي الاموري حيث الشكل العربي ذو الأنف الاقني والطول المعتدل والرأس المستدير والعيون الرمادية اللون وللحي السوداء والملابس المنسوخة نسجا دقيقا ذات الألوان المتعددة يزينها السلاح المحمول ، كما وصفه الشاعر السومري قبل أكثر 2000 عام حين قال (بالنسبة للاموري السلاح هو رفيقه فلا يعرف الخضوع)) أما بالنسبة للديانة الاموريين فلا تختلف عن ديانة عرب الصحراء في سوريا وجزيرة العرب من حيث تعدد الآلهة وعبادة مظاهر الطبيعة اله القبيلة اموري وهو اله الحرب ، هنالك عدد من الآلهة جاءتنا أسماءها مع الآلهة الكنعانية وكان أهمها حدد او هدد وهو اله المطر والصواعق والعواصف ويقرن عادة مع الثور والصاعقة ثم أصبح بعد ذلك البعل الأعظم (هبل) هذا إلى جانب اله رئيسي اخر هو رشف وربما كان يمثل النار. هذا بالإضافة إلى الإله دا كان باعتباره اله الخصب.. وكان للإله امورو شريكة تسمى عاشرة (عشتار) وتتصف بنفس صفات عشتار البابلية (آلهة الحب والحرب) وكذلك توجد طقوس دينية بارزة عند الاموريين هي العمود المقدس وكان يمثل على ما يظهر اله القبيلة وتقام هذه الأنصاب في أماكن مطهرة كالكهوف مع مذبح من الحجر تقدم عليه القرابين

2_الكنعانيون :

الكنعانيون هرب استقروا في السواحل من بلاد الشام ونراهم منذ زمن قديم في الساحل الجنوبي منه يتقدمون نحو الشمال منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد وكأبعد حد يوجدون في منطقة او غاربة (رأس شمره).

أن الكنعانيين والاموريون قبيلة واحدة استقرت في بلاد الشام جنبا إلى جنب الا أن الاختلاف الموجود يرجع بالدرجة الأولى في استيطان كل منهما في قسم خاص من بلاد الشام حيث تم التأثر بالحضارات التي سبقتهم في المنطقة العربية فالاموريون تأثروا بالحضارة العراقية القديمة (حضارة وادي الرافدين) وأما

الكنعانيون فتأثروا واثروا في الحضارة المصرية القديمة (حضارة وادي النيل) وهذا مالمساة خلال دراسة التاريخ بحيث نرى أن منطقة جبيل قد لعبت الدور الكبير في نقل التجارة والأفكار إلى بلاد وادي النيل منذ العهود القديمة

أن اسم الكنعانيين مأخوذ من الكلمة العربية القديمة ذات الجذر(كنع) والتي تعني الأرض الواطئة بالإشارة إلى موطنهم اي الساحل وكان اسم بلاد كنعان يطلق في أول الأمر على الساحل والقسم الغربي من فلسطين ولكنه استعمل بعد ذلك ليشمل قسما كبيرا من سوريا وكل فلسطين (حتى التوراة تطلق على جميع سكان فلسطين اسم الكنعانيين) وهذا يدحض فراءاتهم في الحق في فلسطين . هناك أشارات عدة في مواضع كثيرة من بلاد الشام

تشير إلى قدم استيطان الكنعانيين في هذا الجزء من الوطن العربي فأسماء المدن تشير إلى أصلها الكنعاني ، إما كلمة (فونكس) التي تعني فينيقي بالإغريقية فمعناها الصبغ الأرجواني الذي اشتهر الكنعانيون بتحضيره من الاصداغ البحرية ومن هنا أطلق الإغريقي هذه الكلمة على من تاجر معهم من الكنعانيون وهكذا أصبحت كلمة الفينيقيين ترادف كلمة الكنعانيين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

سكن الكنعانيون في بلاد الشام في قرى ومدن زراعية تطورت المدن كبيرة عامرة تحفها أسوار عالية شيدت فرقها الأبراج المنيعة حماية. من غزوات العدو ونعرف من خلال دراسة التاريخ المقارن في المنطقة العربية وخصوصا عندما ظهرت الإمبراطوريات الثلاثة المصرية والأشورية والحثية في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حيث تمتعت المدن الكنعانية بشئ من الاستقلال، أن هذا الاستقلال لم يدم طويلا حيث خضعت الدويلات الكنعانية للسيطرة البابلية والمصرية والحثية.

أن هذه المدن الساحلية لم تتوفر لها الظروف الكافية لتكوين دولة كبيرة بل كانت تحت رحمة الامبراطوريات القوية المتصارعة، هذا إلى جانب أن هذه الدويلات لم يكتب لها أن تتوحد بسبب امتدادها إلى أكثر من 300 كيلومتر وصعوبة مواصلاتها البرية التي تعترضها وديان ومرتفعات كونتها السيول المتحدرة عرضيا من الجبل إلى الساحل لذلك توزع السكان فيها على عدد من المدن احتل

كل منها موقعا ممتازا للنشاط البحري او الأرض داخلة في البحر ولم يجمع بينها لتحادا وتحالف بل اضعفها التنافر والتنافس اللذان قاداها إلى التجارب والقتال احيانا وهذا ما لمسناه عندما ناصبت صور وصيدا بنوع خاص من العداء الطويل ولم يتح لمدنية واحدة حتى ولو استفادت مما الحقة الأجنبي بمنافستها أن تبسط نفوذا واسعا او دائما

لقد كشفت النقيبات الأثرية الحديثة عن اثأر تلك المدن العربية الكنعانية في غزة ((غزة اى القوة)) وتعرف خرائب المدينة القديمة الان باسم تل العجول وعسقلان((عسقلون)) وأريحا التي يعني اسمها الكنعاني ((يريحر)) مدينة القمر ، وبيت شان ((بيسان)) اي بيت الاله شان ، والدوا او مجدون (اي المقطع) وعكا ((عكو)) التي تعني الرمال الحارة وهي عكا الحديثة ومدينة صور العربية (من سور او صور) اي الصخر والتي برهنت منذ القدم على قوتها وعظمتها وهي الان تقوم بنفس الدور في مقارعة الصهيونية والانعزالية وصيدانسية إلى الاله صيدون (اله السمك عند العرب الكنعانيين) ومدينة جبيل التي لعبت دورا مهما في العلاقات السياسية والتجارية التي عرفناها في الرسائل المعروفة برسائل تل العمارنة عاصمة الفرعون المصري اخناتون

أن هذه التجزئة السياسية لدول المدن الكنعانية في الشام قد لعبت الدور الكبير في مقاومة الغزاة ولم تستلم بسهولة انظر للتحصينات المهمة من قلاع حصون دفاعية لدفع غائلة العدو الا انها لم تسلم من أن تكون فريسة للعدو الخارجي مما حدا بها أن تتمركز في سفوح جبال لبنان للاستفادة من حماية هذه الجبال الطبيعة من خلفهم وخصوصا في جبل الكرمل وجبل الاقرع وجبل امانوس في الشمال وهكذا نشات اهم المدن الكنعانية الدائمية في سفوح لبنان مثل طرابلس

وبترونا وهي البترون وجبيل وبيروت . وقد ورد اسم بيروتا في رسائل تل العمارنة والتي تعني في الكنعانية (بئر) فهي جمع بئر وكذلك مدينة اور شليم (أن اسم اورشليم هو اسم كنعاني)مأخوذ من برو _شالم او برو _ شلم، وشالم او شلم هو اسم اله الكنعاني بمعنى. السلام هذا إلى جانب اسم اله اشوري هو شلمانو ، وهذا يفند المزاعم الصهيونية بادعاء هذا الاسم عبراني..

أن هذه المدن العربية التي لم يكتب لها أن تتوحد الا انها كانت تتفق فيما بينها عندما تكون الأخطار محيطة بها فكانت أحداها تتزعم مثل هذه الاتحادات كما حدث لمدينة رأس شمره في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد وجبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وصيدا في مطلع القرن الحادي عشر ثم خلفتها صور وصارت أقوى الدويلات الكنعانية ولاسيما في عهد ملكها حيرام حيث كانت محصنة بسورين كما أنها كانت عبارة عن مدينتين مدينة في الساحل حيث يستوطن فيها الناس لإدارة شؤونهم الاعتيادية كالتجارة والزراعة والأخرى قريبة ملاصقة يعتصم فيها السكان في أثناء الغزو والأخطار.

وخير مثال على زعامة المدن الكنعانية للمنطقة هو وقفتها أمام جحافل الطامعين وخصوصا عندما قام الفرعون المصري توحتمس الثالث واشتبك معهم في معركة مجدو على نهر العاصي وعندما عظمت قوة الآشوريين في المنطقة خصوصا في عهد شلمنصر الثالث دخل الكنعانيون في اتفاق معهم ، وفي زمن الملك الاشوري اسر حدون تحسنت العلاقات بين الكنعانيين حيث ساعد هولاء الآشوريين على غزو مصر بان أمدوهم بالسلاح والسفن والرجال والمال.

وبعد سقوط الإمبراطورية الآشورية وسيادة البابليين على المنطقة دخل الكنعانيون مع الدولة الجديدة بحلف جديد. أن الظروف السياسية أنفة الذكر لم تسمح للدويلات الكنعانية أن تكون دولة معظمة على غرار الإمبراطوريات تستهتر بالفتح والتوسع الا انهم استطاعوا أن يبنوا حضارة راقية نتيجة الهمة العالية والنشاط في المدن المحطات التجارية التي كونوها، حيث لعب الكنعانيون الدور الكبير في اقتصاديات الشرق القديم سواء عن طريق الصناعة او التجارة إلى جانب اهتمامهم بالزراعة والبستنة والصيد والرعي حيث استطاعوا الحصول بواسطة الزراعة المنظمة على أكثر المواد الغذائية التي شملت القمح والشعير والشوفان والعدس والباقلاء والكروم والزيتون هذا إلى جانب تربية المواشي كالبقر والغنم والماعز واستخدمت المحاريث للزراعة وطحنوا الحبوب الغذائية بالرحى الحجرية وخبزوا في تنانير اسطوانية الشكل ونقلوا الماء من الآبار والعيون والجداول

الصناعة

إما الصناعة فكانت نشطة جدا ولم يتوصل اي قوم في العالم ذلك الوقت إلى ما وصلت اليه الصناعة الكنعانية فقد توجه الكنعانيون إلى نائية جدا بحثا عن المواد الخام لتصنيعها فبلغوا أفريقيا سعيا وراء طلب أصداف (الوركس) التي يستخرج منها صيغ الأرجوان مما أتاح للكنعانيين الانفراد بصناعة الأقمشة الصوفية الملونة.

وتشير النصوص المسمارية المكتشفة في نوزى (بلاد وادي الرافدين) إلى جودة الصوف الكنعانيين هذا إلى جانب استعمالهم الصبغ القرمزي في صيغ المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية فكان هذا الصيغ يستخلص من نوع من الحشرات تعيش على شجر البلوط بعد تجفيفها وإضافة محلول حامضي لها.

إما صناعة الخزف فلم تضاهيما صناعة على الاطلاق وذلك لاستقاتهم من التطورات الصناعية التي حدثت في الأقطار المجاورة فالأواني الفخارية صنعت بواسطة الدولاب الذي تعلموا استعماله من العراق إما أشكال هذه الأواني فقد كانت تجمع بين الأشكال المصرية والكريتية والقبرصية والعراقية،هذا إلى جانب صناعة الأواني المزججة والرخامية، إما صناعة المعادن فقد اظهروا فيها مهارة فائقة من حيث متانة الصنع ودقة عمل للآلات . والأدوات النحاسية والبرنزية والذهنية والفضية، هذا إلى جانب مهارتهم بفن الصياغة لمواد الزينة من معدن الفضة والذهب والبرنز كالأساور والحجول والأقراط والمشابك وحلقات الأنف ، هذا إلى جانب صناعتهم لقطع من الفضة كانوا يتداولونها بدلا عن النقود المسكوكة على أساس الوزن لهذه القطع ، إلى جانب صناعة الآلات الموسيقية من المعادن كالقيثارة والناي والصنج والمزمار والدف ، كذلك مهارتهم في صناعة المواد الحجرية الجيدة والثمينة كالأختام والخواتم والخرز والصناعة العاجية اشتهرت في زمنهم وعملت منها وقال الأدعية ومواد الزينة والأزرار هذا إلى جانب صناعة الزجاج وما يترتب عليها.

أن هذه الصناعة الكثيفة ومهارتهم فيها تحتاج إلى أسواق عالمية لتصريفها فلذلك وجه الكنعانيون نظرهم إلى البحر مستفيدين من الأخشاب في جبل لبنان لصناعة السفن التي كانت في بادئ أمرها تستعمل لصيد السمك في السواحل وبيعها

للمدن القريبة لذلك استفادوا من خبرتهم هذه في الملاحة ووسعوا سفنهم وتوغلوا بعيدا في البحر ونقلوا إلى بلاد نائية تجارتهم لذلك نزاهم قد برزوا في التجارة وفي الأصول القانونية للتجارة إلى جانب عملهم في نقل البضائع التابعة لغيرهم فقد برزوا في تقنية الملاحة التي تفوقت على كل تقنية أخرى ففي القرن الثاني عشر قاموا بجولة حول افريقية مرورا بالبحر الأحمر وجبل طارق استغرقت ثلاث سنوات وسلكوا طرقا غير مطروقة مندفعين بعيدا نحو الغرب ومكتشفين مضبات الأنهار والمواقع الصالحة للجوء المراكب ومستطلعين شواطئ البحار المجهولة وحرصوا على الاحتفاظ بأسرارها وقد نشطوا في كل مكان وأقصوا كل من تسول له نفسه منافستهم ومستعدين لكل قوة تقف في طريقهم لذلك تراهم في القرن الثامن قبل الميلاد يؤسسون المستوطنات التجارية في حوض البحر المتوسط

لقد عرف الكنعانيون الملاحة الليلية واستعانوا بالنجوم وخاصة النجم القطبي وتجولوا بواسطة هذه المعرفة في كثير من السواحل وكانت سفنهم تتألف من طابقين يبرز منها في الأمام عمود حديدي مدبب لمهاجمة السفن الأخرى في حالة اللجوء إلى القتال، هذا وقد قدم الكنعانيون مساعدات لحلفائهم وخصوصا الملوك الاشوريين عندما فتحوا بلاد وادي النيل.

هذا وكنتيجة لهذا الاختصاص التجاري الصناعي البحري جعلهم يوسعون من حجم السفن لكي تستطيع التوغل إلى مسافات ابعد في أعماق البحار لأنهم احتكروا تجارة البحر المتوسط كذلك احتكارهم لأكثر الطرق البحرية الموصلة بين العالم القديم آنذاك كذلك أن الكنعانيين هم أول من اكتشف مجاهل المحيط الأطلسي في العالم وقد قدموا خدمة للعالم بفضل انتشارهم وبفضل أسواقهم في شرق اسبانيا والى قادس بعد مضيق جبل طارق وفي تموين الشرق بالمعادن ولاسيما القصدير كما انهم عرفوا العالم بحضارة الشرق ونشروا إلى عالم ناء مظلم لم تكن قد وصلت اليه شمس الحضارة الثقافة. لقد آسهم الكنعانيون اسهاما فعالا في تطور الملاحة سابقين بذلك البرتغاليين بهذه الاكتشافات الجغرافية بأكثر من آلف عام وخصوصا عندما ساعدهم فرعون مصر (نيخو) في عام 609_596.م الذي حفر القنال القديم الذي يربط الفرع الشرقي للنيل بالبحر الأحمر. هذا إلى جانب المحطات البرية في كل من الرها ونصيبين ومواقع على

رأس الخليج العربي حيث كانت لهم مدن في مناطق الخليج العربي تحمل أسماء مدتهم مثل ارواد وصور وصيدا.

وكنتيجة لهذا النشاط التجاري والبحري فقد أسسوا مستوطنات تجارية مابين القرن الحادي عشر والثامن قبل الميلاد وذلك تسهيلا للأعمال التجارية والصناعة ومن أشهر تلك المستوطنات قبرص وسر دينيا والعتيقة في تونس وقادس في اسبانيا في بداية القرن العاشر وقرطاجة في القرن التاسع قبل الميلاد وصقلية. لقد قاموا هذه المستوطنات في بداية الأمر على هيئة مراكز تجارية او صناعة ومن ثم يبدأ بتوسيعها حتى تأخذ شكل مدينة تجارية تؤدي خدماتها إلى العالم. أن هذه السلسة من المستوطنات التجارية تتقارب فيما بينها لكي تأخذ المستقبل الزاهر للحضارة العربية الكنعانية. والمرجع أن اول مستوطنة تجارية كنعانية هي قبرص في شرق البحر المتوسط إلى جانب مستوطنة صقيلة وسردينيا في وسط البحر المتوسط التي يرجع تأسيسها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد. هذا إلى جانب المستوطنات في شمال غرب أفريقيا واسبانيا وخصوصا في القطر العربي التونسي واسمها القديم (عوتيقا) وقادس، التي الجدار في اللغة الكنعانية . باسبانيا وقد انشات حوالي 1000 قبل الميلاد . هذا ما زودتنا به النقوش الكنعانية التي وجدت في تلك المناطق .

أن الاكتشافات الجغرافية المهمة التي توصل أليها العرب الكنعانيون في منطقة المحيط الأطلسي وإنشائهم المركز التجاري في قادس وراء أعمدة هرقل (مقابل جبل طارق) قد جعلهم يكتشفون (الدائرة)(الاوقيانوس) الذي سماه العرب ببحر الظلمات ومنهم تعلم اليونان وتعرفوا بذلك البحر ولا نعلم بالضبط إلى اين وصل الكنعانيون في هذا المحيط واسع حيث تضاربت الآراء بين المؤرخين مثل هيرودوتس سترابون وديودور الصقلي، حيث قالوا أن تجارة القصدير قد احتكروها واخفوا الطريق . المؤدي اليها، وخصوصا في بريطانيا وفرنسا ألا أن هناك جملة أسماء لعدة مواقع في اسبانيا ترجع في أصلها إلى اللغة الكنعانية الا أن الشيء المهم هو مدى الانتشار الكنعاني وتحقيقه التجاري والثقافي . الا أن أشهر مستوطنة كنعانية لعبت الدور الكبير سواء في الأمور التجارية او السياسية هي قرطاجة بحيث اصبحت قوة دولية عظمية كان لها دور مهم في التاريخ السياسي القديم ولاسيما علاقتها مع الإمبراطورية الرومانية بحيث

اصبحت من القوة الضخامة نتيجة علاقتها التجارية مع اقطار البحر المتوسط حتى اصبحت دولة مهمة بعد أن تدهورت مدن الكنعانيين في بلاد الشام

(شانها في ذلك شان الدولة العربية في الأندلس بعد سقوط الشام وتأسيس الدولة العباسية) على يد الآشوريين والمصريين واليونان. أن هذه الدولة التي تأسست في القرن السادس قبل الميلاد وأصبحت امبراطورية امتدت من ليبيا إلى اعمدة هرقل تضم اليها مجموعة جزر مثل مالطة وسردينيا جملة من المستوطنات في الساحل الاسباني والفرنسي ، وهكذا عوضت هذه الدولة العربية عن وطنها الام في صورة وصيدا.

أن هذا الاتساع العربي في البحر المتوسط بلغ مبلغا بحيث أن الرومان حذروا من غسل أيديهم في مياه البحر المتوسط بدون موافقة قرطاجة ، ويقال أن الرومان قد قلدوا سفينة قرطاجية كانت متروكة على سواحلهم فينوا على شكلها 130سفينة لكي يغزوا قرطاجة.

أن هذا الصراع بين القوتين قرطاجة وروما في منطقة البحر المتوسط واصطدام مصالحهما التجارية أدت في النتيجة إلى قيام حرب طويلة دامت اكثر من 100سنة (264_146 ق.م) وعرفت في تاريخ الرومان بالحرب اليونية (نسبة إلى اسم الكنعانيين) وكانت آخر تلك الحروب حروب هانيبال الذي عبر جبال الألب ودخل ايطاليا وظل يحارب فيها زمنا طويلا قدر بخمس عشرة سنة حتى وصل إلى روما ولكنه اضطر للرجوع إلى قرطاجة ليدافع عنها ضد حملة أرسلتها روما فالتحم الطرفان في موقعة (زاما) حيث خسر فيها هاني بال المعركة في سنة 196ق.م ولجأ إلى المدينة صور ثم التحقق بالسلوقيين اليونان واشترك معهم في حروبهم مع الرومان ، إما قرطاجة فقد غلبت على آمرها فرضت عليها غرامة باهضة الا أن الرومان لم يتركوها وشانها بل أعلنوا عليها الحرب مرة أخرى ورفض اهل قرطاجة الاستسلام ودافعوا عن مدينتهم من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت ولما دارت الدائرة عليهم بعد أن قدموا أعظم صفحة من البطولة والتضحية أشعلوا النار في مدينتهم وأكمل البرابرة الرومان تهديهم المدينة فزالت قرطاجة من الوجود سنة 146قزم وتم لروما استعمار البحر المتوسط.

الآداب والديانة الكنعانية

للكنعانيين فضل كبير على العالم وهو اكتشافهم (1) الأبجدية اي الحروف الهجائية التي اقترنت باسمهم وان هذه الأبجدية كانت مصدر الأبجديات المعتمدة في كتابة لغات العالم.

لقد كانت الكتابة قبل طورها الهجائي صورية او مقطعية كالكتابة الهيروغليفية ((المصرية القديمة)) او كتابة المسمارية ((العراقية القديمة)) والتي امتازت بالتعقيد لكثرة العلامات وغموضها وعدم ملائمتها لتأدية الأصوات. إما الكتابة الهجائية فقد نشأت بين الأقوام العربية في سوريا ولم تظهر مرة ولحدة ولا اقتصر نشوءها على مجموعة أقوام وانما ظهرت بصورة

تدريجية وبين الأقوام العربية فقط. أن هذه الحروف المنفردة والتي تشكل علامات يمكن اعتبارها أصل الحروف الهجائية في الوقت الحاضر.

ومن تلك الكتابات النقوش التي وجدت على أحجار سرابي الخادم في شبة جزيرة سيناء تعود إلتي تعود إلى المدة المحصورة بين 1600_1500 ق.م وقد احتوت تلك النقوش على علامات يمثل كل منها صوتا خاصا وهذه الكتابات من اثأر العمال العرب من الكنعانيين الذين كانوا يشتغلون في مناجم سيناء ومن هذه الكتابات الكنعانية التي وجدت في تل. التدوير ونابلس ومجدو وترجع إلى نفس الدور المكتشف في شبه جزيرة سيناء ومن الاكتشافات الأثرية المهمة هي تلك التي وجدت في اوغاريت (رأس شمره) والتي كتبت على ألواح من الطين وهي تمثل كتابة هجائية تتألف من 29 علامة كتبت بنوع من العلامات المسمارية بسبب استخدام نوع القلم الذي استخدم في طبع الحروف المسمارية على الطين ويعود تاريخ هذه الكتابة إلى سنة 1400قبل الميلاد ، كذلك النقوش

الكتابية التي اكتشفت في منطقة جبيل ويرجع عهدها إلى نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد. تتألف هذه الكتابة من 22حرفا هجائيا اشتقت منها الكتابة الهجائية الأخرى كالآرامية العربية والجنوبية.

أن هذه الحروف المكتشفة في جبيل تمثل نموذجا من الحروف التي كتبت فيها اغلب لغات العالم القديم . أن هذه الكتابات المكتشفة في رأس شمره قد أظهرت زيف اليهود وافتراءاتهم وخصوصا كتاب التوراة حيث أدت هذه الاكتشافات الأثرية المهمة إلى معرفة العالم بآداب وحضارة الكنعانيين والتي هي بحق حضارة امة عريقة أن دلت على شيء فإنما تدل عظمة الأمة العربية وقدراتها في الإبداع والابتكار حيث أن أكثر أقوال الحكمة والأمثال والمزامير ونشيد الإنشاد وبعض الأساطير مما ورد في سفر التكوين وسفر الأنبياء هي في الحقيقة مآثر كنعانية سرقها اليهود ونسبوها إلى أنفسهم .

فقد كان من بين الآثار التي التي استخرجتها البعثة الفرنسية. في اوغاريت ((رأس شمره)) وفي قرية مينا البيضة نتائج على قدر كبير من الأهمية فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن أواني من الفخار الجميل والملون بألوان زاهية يرجع في تاريخه إلى تاريخ ازهاد المدينة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . هذا إلى جانب القصور الضخمة ذات الأعمدة المزينة بالفضة واحد هذه القصور يعود إلى احد ملوكها (نقماد) كما كشفت الحفريات الأثرية عن هذه الألواح الكتابية الهجائية والمكتوبة باللغة الكنعانية والتي جاءت على هيئة أساطير دينية هي أقدم نموذج للآداب الكنعانية وقد جاءت بعضها على هيئة أساطير شعرية تدون لنا أحداها أسطورة النزاع بين اله الخيروالله الشر اي بين الاله بعل والإله أموت (اله الموت) ينتصر فيها الاله بعل المتمثل بالأمطار والربيع. ترينا هذه الأسطورة الخاصة بالاله بعل والاساطير الكنعانية الأخرى أن أساس ديانة الكنعانيين عبادة القوى الطبيعية والخصب والزراعة وهي عبادات ظهرت بين أفراد الشعب العربي كله اي بأقوامه الجزيرة فالاعتقاد باله الخصب كان سائدا في بلاد وادي الرافدين وبلاد وادي النيل وتتضمن هذه العبادة البكاء والعويل والحزن على موته في الصيف عن موت النباتات ويستمر الحزن حتى يعود الاله بعل إلى الحياة مرة ثانية وبعودته تكثر الامطار ويحصل الخير ويتزوج من الهة الخصب عشتار وبهذا الزواج تخضر الأرض ويأتي الربيع.

ولهذا الاعتقاد موازيات في الديانات الأخرى وهو يذكرنا بتموز وعشتار في سومر وبيهوا في الديانة اليهودية .

عند بعث الآلهة يجري احتفال عام يفرح فيه الناس لمدة سبعة ايام تكثر فيها المسرات وتكثر فيها الاحتفالات.

أن عبادة الطبيعة قد تمثلت بعبادة اله السماء ابل او بعل والهة الأرض اشيرة اي عشتار ويتحكم الاول في المطر الزراعة والثانية بالحرب والحب . إما رشاب الهة النار فكانت الهة الموت، كذلك عبد الكنعانيون أيضا الأشجار وفي الغالب اشجار البلوط والصنوبر واستعانوا بالعمود المقدس والشجرة المقدسة بدلا من صنع الاصنام للالهة، الا انه في قليل من الحالات كانوا يصنعون تماثيل للالهة من معدن البرنز وخصوصا للاله بعل وعشتار يبدو فيها بعل رافعا ذراعه الايمن إلى الاعلى إما عشتار فتظهر عارية تمد ذراعها إلى الجانب او تمسك بصدرها

شيد الكنعانيون معابد دينية اعتقدوا بانها بيوت يسكنها الآلهة وكانوا يجتمعون فيها لتقديم فروفض الطاعة لها وان أقدم المعابد الكنعانية يعود إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد وهي تتألف من غرفة واحدة لها باب في الجانب الطويل حيث وجد مثل هذه المعابد في اريحا ومجدو جبيل، وبعد منتصف الالف الثاني تطورت المعابد وأضيف اليها مذبح حجري وعمود مقدس يمثل الاله والالهة وشجرة مقدسة تمثل الاله وغرف تحتانية، وجدت بقايا هذه المعابد في تل الجزر وبيت شان (بيسان) بالاضافة إلى المعابد التي بنيت في المدن الكنعانية وكان للكنعانيين أضرحة على قمم الهضاب ..

وتدلل عادة الدفن التي مارسها الكنعانيون وهو دفن الحاجيات العائدة إلى الميت معه انها راجعة إلى الاعتقاد بالحياة ما بعد الموت ولم يستعملوا التحنيط الا في حالات ضرورية وخصوصا عند الملوك الكنعانيين وهذه تأثيرات مصرية واضحة ، كذلك صفها التوابيت ذات الأشكال الآدمية ترجع في تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد. كما جرت عادة دفن الأطفال في جرار فخارية حيث يكون الرأس في الأسفل ووضعوا هذه الجرار تحت أرضية الغرف إما البالغون

فقد كانوا يدفنون في قبور ممددين على الظهر وتتجه رؤوسهم نحو الشمال وقد دفنت الأسلحة في قبور الرجال وأدوات الزينة في قبور النساء

3_الاراميون

الاراميون عرب جاءوا من إحدى مناطق الصحراء السورية العربية بعد نزوحهم من شبه جزيرة العرب في بداية حياتهم كانوا بدوا منتظمين في قبائل تتنقل في بوادي الشام ومنطقة الجزيرة في بلاد وادي الرافدين .

أن هذه القبائل العربية انطلقت من مركزها في الصحراء العربية كالشعاع في كافة أنحاء المنطقة العربية الممتدة من بلاد الشام إلى أعالي ما بين النهرين حتى الخليج العربي ومنطقة شرق دجلة.

إما كلمة (ارامي) التي وردت على هيئة ارام او ارم (وردت الكلمة في القران الكريم) : ((ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ..)) إلى آخر الآية الكريمة. تعني هذه الكلمة النجد او الهضبة وقد أضيفت هذه الكلمة إلى عده مواقع في بلاد الشام مثل ارام النهرين وارام دمشق وارام صوبا..

يستدل من المدونات الآشورية أن قسما كبيرا من بلاد الرافدين وسوريا الشمالية والوسطى قد اجتاحته في خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد وان المناطق بدات تتخذ صفة ارامية .

أن الاشارات التي وردتنا عن الاراميين هي كتابات (1)المملكة الآشورية والتي تذكر أن مجموعة من القبائل التي اطلق عليها الاخلامو قد قامت بعبور نهر الفرات واتجهت إلى تخوم بلاد اشور يذكر الملك الاشوري

ادد_ نراري الاول (من العهد الاشوري الوسيط) 1300ق.م : أن اباه حارب جموع الارامو في شمال مابين النهرين. كذلك ورد اسم الاراميين في رسائل الملك الاشوري تجلاتبليزر(1100ق.م) حيث وجه على الاراميين اكثر من ثمان وعشرين حملة وهذا مايشير إلى شدة اندفاع القبائل الارامية وضغطها على الاشوريين بحيث هددتهم في عقر دارهم ، هذا وشملت الزحرف الارامية بلاد

بابل حيث استقرت فيها جملة قبائل منهم وخصوصا قبائل _ كالدوا(الكلدانيين) الذين اسسوا فيما بعد امبراطورية لعبت دورا مهما في التاريخ.

هذا إلى جانب ورودهم في الرسائل الحثية التي يتحدث فيها الملك الحثي حاتو شيلش الثالث حيث يقول أن الاراميين قد هددوا سلامة الطرق في الداخل سوريا ضد الحلفاء الحثيين في الدويلات السورية حيث نرى من خلال هذه الرسائل أن الاراميين يحتلون الحصون الحثية ويحررونها الواحد تلو الاخر هذا إلى جانب ورود اسمهم في مراسلات تل العمارنة في مصر في زمن امنوافس الرابع (اخناتون) حيث تذكر هذه الرسائل أن قبائل الاراميين احتلت وجردت سوريا من السيادة المصرية.

نستشف من الكتابات والنصوص الآشورية والبابلية والحثية والمصرية أن جماعات عربية يطلق عليها المجموعة الارامية قد سيطرت على بلاد وادي الرافدين وشمال ووسط سوريا خلال القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد وقد طردت هذه الجماعات المستعمرين الحثيين والحوريين من بلاد الشام .

بحيث اثروا تاثير كبيرا في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ونفهم أيضا أن إزهارهم قد بلغ أوجه في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد اذا سدوا الطريق أمام الاشوريين نحو الغرب والشمال الغربي بحيث أن المناطق التي استوطنوا بدأت تتخذ صفة أرامية باستثناء جيوب قليلة في المنطقة لقد بدأت المناطق الوسطية في بلاد الشام تتخذ كقاعدة للآراميين منذ

قبل الميلاد، فلقد نحج الاراميون في أقامة دويلات مهمة في بلاد الشام وفي مناطق الفرات الأوسط وخصوصا الدويلة القائمة في المنطقة الموصلة بين سوريا والعراق والتي سميت باسم_(ارام_نهرايم) اي ارام النهرين والمقصود بالنهرين الفرات والخابور حيث وردت بالكتابات المسمارية (بنهارين) والمعروف أن هذه الدولة قد دمرت نهائيا من قبل الاشوريين في حدود القرن التاسع قبل الميلاد. ومن دويلاتهم الشهيرة هي فدان ارام وكان مركزها في حران (بمعنى الطريق) وكلمة فدان كلمة عربية

تعني الحقل والسهل، ومدينة حران أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الارامية. هذا إلى جانب المدن المهمة مثل ارام صوبا حيث تذكرها الكتب اليونانية القديمة باسم خلسيس اي النحاس وهي فعلا بلد النحاس في الارامية ، ويعرف موقعها اليوم باسم عنجر في سهل البقاع , هذا إلى جانب مدنهم في جبل الشيخ (جبل حرون) مثل ارام معكة وارام رحوب

الا أن اهم مملكة من ممالك الاراميين هي مملكة دمشق التي أسسها الاراميون وصارت عاصمتهم وعرفت باسم ارام دمشق في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وهذه المدينة التي الاراميون قد ورد ذكرها اي ذكر مدينة دمشق في حوليات الفرعون المصري رعمسيس الثالث 1198_1167ق.م وتذكر بالصيغة الارامية (در_دمشق) اي حصن دمشق ونحن نعرف انه قيل هذا التاريخ قد ورد اسم دمشق في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد بهيئة (دمشقا) ومن المعروف أن هذا الاسم مشتق من اسم احد بطون القبائل الارامية التي استوطنت بلاد. لقد اشتهرت مملكة دمشق في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد بحيث أصبحت من الدول الرئيسية في المنطقة نظرا لتوسعها وسيطرتها على اكثر الدويلات السورية بحيث دخلت في حروب كثيرة مع تلك الدويلات كانت النتيجة أن أصبحت هذه المملكة تمتد من الفرات واليرموك شرقا وغربا وحدود الإمبراطورية الآشورية شمالا وجنوبا، فكانت تسيطر على شمال سوريا وشرقها وقد عرفت في الكتابات التاريخية باسم ارام سوريا إلى أن سقطت في عام 732 قبل الميلاد على ايد الاشوريين

هذا وقد اشتهر من ملوك الآراميين الملك ابن حدو بحيث انه فرض الجزية على كافة الدويلات السورية وقد تزعم حدو الدويلات السورية في حروبها مع الاشوريين بقيادة شلمنصر الثالث في عام 853 ق.م حيث كان الجيش الارامي يضم ما يقارب 60,000 فارس تصدى بهم للملك الاشوري في موقعه القرقار على نهر العاصي وانتهت هذه المعركة بدون أن يحرز اي طرف النصر , كما أن ورثة ابن حدو قد بنفس الدور في التصدي للتوسع الاشوري مستغلين ضعف الدولة الآشورية مما حدا بهم أن يوسعوا فتوحاتهم إلى شرق الأردن وسهل فلسطين وذلك من اجل السيطرة على طرق التجارة مع مصر وبلاد العرب وتمكنت مملكة دمشق أن تصبح سيدة الموقف في بلاد الشام

الا أن الضعف بدا يدب في المملكة الارامية في عهد الملك الاشوري تجلاتبليزر الثالث 745_727 ق.م حيث سنحت الفرصة لهذا الملك فجهز جيشا في عام 734 ق.م على سوريا ودمر المدن التابعة لمملكة دمشق وكذلك سقطت دمشق في عام 732ق.م وهكذا انتهت حياة مملكة دمشق وانتهى معها السلطان السياسي للاراميين. وخصوصا بعد قضائهم على الدويلات الارامية في اقليم سنجرلي، وهي سمال او شمال القديمة حيث اشتهرت دويلات ارامية مثل بيت اكو شي وبيت اديني في مناطق عين تاب في منتصف المسافة بين مرعش وانطاكية..

أن الضغط الاشوري العنيف على الدول الارامية(1) حال دون قيام دولة موحدة للاراميين في سوريا وشمال مابين النهرين بل أن الضغط الاشوري على الاراميين وخنق دويلاتهم ومنعها من التوسع كان

له اثر بالغ في مجريات الأمور السياسية في بلاد الشام حيث اصبحت هذه البلاد عرضة للغزو والنهب وعدم استتباب الأمن ولكن مع إخفاق الاراميين سياسيا الا أن نفوذهم التجاري والثقافي قد وصل إلى

ذروة العظمة واثر تأثيرا كليا في حياة الشرق الأدنى القديم ، وهذا ما كشفته التنقيبات الأثرية في مناطق مختلفة من سوريا حيث دلت الكتابات عن التوسع السياسي لمملكة دمشق وضمت حلب وحماة هذه الكتابات كانت مدونة باللغة الارامية والتي لم يكتبوها بحروف مسمارية بل طبقوا عليها ابجدية مشتقة من الأبجدية الكنعانية فحملت سهولة استعمالها الملوك الاشورين على استخدامها بواسطة الكتبة الاراميين المنتشرين هنا وهناك

أن هذا الانتشار السريع للغة الآرامية بدون دعم سياسي بحيث أصبحت اللغة الارامية لغة عالمية يدعو إلى الإعجاب فبالإضافة إلى استخدام الاشورين لهذه اللغة نرى أن الفرس الاخمينيين استخدموا هذه اللغة في كافة أقطار إمبراطوريتهم كذلك تعلم العرب الشماليون من الاراميين بحيث استعملها الأنباط.

أن أقدم المخطوطات الارامية المعروفة ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد وقد وجدت في شمال سوريا في تل خلف (كوزانا) وسنجرلي وبمرورالزمن انقسمت اللغة الآرامية إلى مجموعتين شرقية انتشرت في وادي الفرات وتمثلها السريانية في مدينة اودسا (الرها) وغربية تمثلها ارامية التوراة ولهجة سنجرلي وتدمر والأنباط . والخط النبطي شكل من أشكال الخط الآرامي وهو أصل الخط العربي الشمالي بجميع اطواره.

إما الدور التجاري الذي لعبة الاراميون فهو دور لا يقل شانا عن دورهم الثقافي وخصوصا أن الدور التجاري كان العامل المساعد على نشر الثقافة الارامية في مختلف أنحاء العالم حيث لعب الاراميون دورا هاما في التجارة العالم القديم نتيجة الموقع الجغرافي المهم لسوريا وشمال بلاد وادي الرافدين الذي جعل من هذين الموقعين طرقا طبيعية للتجارة بين الساحل الكنعاني واسيا الصغرى من جهة وبين مناطق جنوب العراق اي أسفل دجلة والفرات من جهة أخرى وقد كانوا وسطاء في عملية التبادل التجاري فقاموا بنقل التجارة عن طريق البر كما سبقتهم الكنعانيون في نقل التجارة عن طريق البحر وساعدهم في ذلك تقدم الصناعة في سوريا وما وصلت أليه التقنية الصناعة بحيث نرى أن القوافل التجارية كانت تتوافد على مدينة دمشق وأصبحت بدورها اكبر المراكز التجارية الممونة للعالم القديم ، هذا إلى جانب قيام الاراميين ببناء محطات تجارية في اغلب الأقاليم البعيدة فقد وصلت قوافلهم التجارية مناطق بعيد وتدل على ذلك موازينهم البرونزية في نينوى ، واحتكروه تجارة سوريا الداخلية وتاجروا في مواد مهمة مثل صبغ الارجوان والمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية المطرزة والنحاس الاحمر وخشب الابنوس واللؤلؤ والعاج

إما الديانة الارامية غلا ابتكار ولا تفرد جديد فيها هي مزيج اموري وكنعاني بحيث نرى أن العبادات التي عكستها الديانة الارامية هي نفسها عبادات كنعانية من حيث تعدد الآلهة وعبادة مظاهرات الطبيعية وكان أكثر الآلهة أهمية عندهم

هو الاله (هدد او حدد) او ادد اله العواصف والرعد والبرق والمسؤول عن المطر والفيضان وقد سمي رامون القاصف الذي يعرف